لماذا تأخر المسلمون؟

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م

مؤسسة الوعي الإسلامي
للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر
بيروت . لبنان

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» وعلى آله الطاهرين .

وبعد .. ممّا يؤسف له حقاً حال العالم الاسلامي اليوم ، بسبب الهيمنة والتسلط الاستبدادي الذي يخيم على ربوعه ، وما نجم عن ذلك من تمزّق وصراع ، وانقسامات طالت كتلته الجغرافية والاجتماعية .

إنّ أنظمة الحكم المنحرفة والمتسترة بشعارات الوطنية والقومية وما أشبه ذلك ، إنما جاءت واستمدت سياساتها الجائرة ، من نفس سلوك وسياسات تلك الأنظمة التي استبعدت المسلمين باسم الإسلام ، لتخلق عبر كل تلك القرون الطويلة من التاريخ الإسلامي ، مناهج الظلم والتفرقة والتجزئة ، ولنا في حكام بني أمية وبني العباس وآل عثمان ، وصولاً إلى صور الاستعمار الحديث ، وصنيعته الأنظمة الحالية ، أمثلة تشهد على انحرافها وممارساتها الظالمة حيال الشعوب .

ولا يفوتنا من إنّ الجهل وعدم الوعي من لدن قطاعات واسعة من أبناء الأمة، كانا جملة عوامل ساهمت بوضوح في تمكين الطغاة والظلمة من التلاعب بمقدرات الشعوب المسلمة والتحكّم بمصائرها وفق نزواتهم ونزعاتهم ، والسير بها بعيداً عن خط الإسلام الصحيح ، ومبادئ رسالته السمحاء وسنة نبيه الكريم محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» وتعاليم أهل بيته «عليهم السلام».

إنّ الاستعمار لعب دورٌ واسعٌ في تمزيق وحدة العالم الإسلامي ، على الأصعدة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإضعافه كقوّة عالمية تقف بالمرصاد لمخططاته ومشاريعه التوسعية والعدوانية .

ولا سبيل للمسلمين للرجوع إلى عزّهم ومجدهم العريق ، إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح ، والانتهال من ينابيع المعرفة والعلم التي أفاض بها القرآن الكريم ، وما رسمته السيرة النبوية الشريفة ، وأحاديث ووصايا أئمة أهل البيت «عليهم السلام» .

وأول ما ينبغي على المسلمين فعله هو الوحدة روحاً ومضموناً ، وتجسيد شعاراتها بالعمل وكيان الواقع ، فالوحدة أساس القوة والمنعة .

وقد دعى الإمام الشيرازي في هذا الكتاب المسلمين للعودة إلى جوهرهم وفطرتهم الإيمانية وروح الإسلام، ولأهمية هذا الموضوع ومدى اتصاله بحياة المسلمين ومستقبلهم ، فقد ارتأينا طبع هذا الكتاب القيم ، عسى أن تنتفع به الأمة ، ويسترشد به المسلمون .

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مؤسّسة الوعيّ الإسلامي

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين .

لقد عَبرَت طلائعُ المسلمين بلاد الأندلس ، ووصلت إلى الصين، وفتحت أبوابَ العالم ، وخفقت راياتها على بقعة كبيرة من الكرة الأرضية .

كان ذلك في أوائل ظهور الإسلام وانتشاره ، لكنّه بعد ذلك وحتّى القرن الأخير فَقَدَ المسلمون مكانتهم ، وابتعدوا عن دينهم ، وتفرّقوا عن قيمهم ومبادئهم ، وتركوا وراء ظهورهم أهمّ وأكبر حضارةٍ سماوية عرفها الإنسان والتأريخ .

ترى لماذا أنفضّ الناسُ عن الإسلام في هذا القرن، في حين التفوا حوله في أوّل ظهوره ؟!

سؤالان متعاكسان مطروحان في طرفي القضيّة ، والإجابة عن أيّ منهما تعدّ إجابة عن الآخر أيضاً ، كما هو الشأن في كلّ ضدّين لا ثالث لهما ، أو في النقيضين .

إنّ الإجابة قد تكون متعدّدة ومختلفة ، إلاّ أنّها ترجع إلى شيء واحد ، وقد لا تكون أجابتنا متطابقة بالدقّة الفلسفية في كلا طرفي القضيّة ، لكنّها مقبولة بالتسامح العرفي ، وتتطابق مع المقام بكلّ تأكيد ؟

مثلاً إذا أقبل الليل تسأل : لماذا الليل ؟

يقال لَكَ في الجواب : لأنّه لا نهار .

وإذا سألت لماذا النهار ؟

كان الجواب عنه : لأنّه لا ليل ، مع أنّ الدقّة العقليّة تقول : إنّ النهار مستندٌ

إلى الشمس ، فحيث لا ، لا ، لا أنّه حيث لا ليل ، فهو نهار ، أو لا نهار ، فهو ليل .

نعم لا إشكال في التلازم ، والتلازم غير العلميّة .

وكيف كان : فالمسلمون إنّما التفوا حول الإسلام لأنّهم وجدوا فيه تلبية لحاجاتهم الجسديّة والروحيّة والعقليّة والعاطفيّة وما أشبه ذلك .

وإنّما تفرّقوا عنه لأنّهم فقدوا هذه الحاجات، وتصوّروا أنّ الإسلام عاجزٌ عن توفيرها ! فتلك طبيعة البشر يلتفّون حول الماء العذب أو الذي يتصوّرونه عذباً يروي ضمأهم وينفضّون عن الماء الأجاج .

ومن الطبيعي أنّنا لا نقصد بهذا الجواب أنّ الإسلام هو المسؤول !

فثمة فرق كبير بين الإسلام وبين المسلمين ، لأنّ الواقع أنّ أسباب الهزيمة لا تتعلّق بالإسلام كدين ، وإنّما ترتبط بالمسلمين حكّاماً ومحكومين .

وهذه الحقيقة أشار إليها القرآن الكريم بقوله :

﴿يضع عنهم إصرَهُم والأغلالَ التي كانَت عليهِم﴾[1] .

فالإصر : ما يثقل الظهر والكاهل ، والأغلال : ما يقيّد اليدين والرجلين ، ومن مصاديقهما الجليّة ما يضعه المسلمون على أنفسهم من الرسومات التي تشدّد عليهم ، وتحول دون انطلاقهم ، ورسومات الولادة ، والاختتان ، والزواج ، والأموات .. وما إلى ذلك .

وكذلك القوانين الظالمة ، التي تضعها الأنظمة الاستبدادية على شعوبها ، لتقهرها وتجبرها على الركون إليها والقبول بما لا ترضاه .

وحيث أنّ الإسلام كلّما حلّ ـ عملياً ، لا شعاراً صورياً ـ في مكان رفع الإصر عن الكواهل ، والأغلال عن الأيدي والأرجل، التف الناس حوله ، واعتنقوه ديناً لهم ونظاماً لأمرهم ، كما حدث ذلك للناس عند مجيئ الإسلام وبزوغ شمسه عليهم

---

[1] ـ سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

.

وكلّما ارتحل الإسلام ـ عملياً ـ عن مكان ، وحلّ مكانه غيره وجدت هذه المظالم والضغوط ، وعاد الإصر والأغلال ، وانتشر الفقر والحرمان ، فتفرّق الناس عن دينهم ، واعتنقوا مبادئ أخرى ، ورضوا بقوانين البشر بدلاً من أحكام الله .

ولا علاج إلاّ بالرجوع إلى الإسلام الواقعي الموجود في الكتاب والسنّة الذي تركوه وراء ظهورهم أو في بطون الكتب ، بعيداً عن التطبيق .

ومن المؤكّد : إنّه بمجرّد تطبيق الإسلام ، سيعود الناس للالتفاف حوله من جديد ، كما حدثَ ذلك عند بزوغ فجر الإسلام ، وكما حدثَ على طول الخطّ في أيّة بقعة عمل فيها بالإسلام .

إذن فنحن بحاجة إلى من يكشف للعالم عن الحقائق الإسلامية المهجورة ، وينفض عنها غبار الزمن ويشعل عود ثقاب ليضيء به مصابيح الإسلام ، التي أطفأت منذ أمدٍ بعيد .

فمن الطبيعي أن يجتمع الناس حول المصباح المضيء ، وأن يتفرّقوا عن المصباح المطفأ الذي لا نور له .

وبكلمة واحدة : إنّ كلّ ما نراه من اجتماع الناس حول دينٍ، أو مبدأ ، أو قانون ، أو نظام ، له أصل سماوي ، أو يفتقد ذلك الأصل ـ كالماديّة ـ إنّما هو قائم لأنّه يلبّي بعض حاجات الناس ، أو يوهم بأنّه يلبّي حاجاتهم ـ كما في الشيوعيّة ـ ، مع فارق هو : أنّه في الأوّل يطالب الناس بالمزيد ، وفي الثاني يتفرّق الناس عنه بمجرّد أن يكتشفوا منفذاً يتسلّلون منه ، كما حدث للشيوعيّة التي أنفضّ الناس عنها ، وتلاشت إمبراطوريتهم ، وتقسّمت بلادهم إلى دول عديدة ، كما كانت في عهدها السابق .

وقد سبق أن تنبّأت بسقوط الشيوعية سنة «١٤٠٠هـ» في بعض مؤلّفاتي[٢] .

---

[٢] ـ أشار الإمام المؤلّف (دام ظلّه) إلى هذا التنبؤ في كتابه «ماركس ينهزم» وكتاب «أفغانستان را دريابيم» باللغة

كما إنّي أرى الآن ـ وحسب موازين العلّة والمعلول وإن كان المستقبل بيد الله سبحانه ، ولا يعلم الغيب إلاّ الله وأولياؤه ـ أنّ الغرب سيضطر ، وربّما في غضون عقد من الزمن ـ إذا أراد أن لا تتحطّم حضارته ـ إلى إصلاح مناهجه ، وتعديل الكثير من قوانينه، وخاصّة التي تتعلّق بحقوق الإنسان ، وبالإنسانية المعذّبة والمحرومة على ظهر هذا الكوكب الأرضي[٣] وذلك لأنّ نمو الإنسانيّة وتطوّر أفكارها وتطلعاتها المستقبليّة ، سيكشف للعالم العديد من مفاسد الغرب وديمقراطيته المشوّهة ، وإذا لم يستعد الغرب لاحتواء هذا النمو الفكري، بإصلاح مناهجه ، فإنّه هو الآخر سيتعرّض إلى السقوط كما سقط الاستعمار الشرقي .

نعم ، إنّ الإسلام أنزله الله على رسوله موجودٌ أمامنا لكنّنا لا ننظر إليه ، ومكتوب في كتبنا لكنّنا لا نطالعه ، ويواكب حركة الإنسان والزمن ، لكنّنا أطفأنا سرجه ومصابيحه حيث تركناه ، وشوّهنا بعض حقائقه بتطبيقنا السيئ له.

فإذا طَبّقَ المسلمون الإسلام ـ كما جاء به الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» وسار على نهجه أهل البيت «عليهم السلام» ـ في زاوية من زوايا الأرض التفّ الناس حوله ، كما التفّوا حوله في اليوم الأوّل ، حيث أنّه دين الفطرة ، وبمقدوره أن يلبي جميع حاجات الإنسان الروحيّة والجسديّة .

إنّ الحاجة الروحيّة لا يسدّها إلاّ الإسلام ، ولا يشبعها إلاّ مبادئه وقيمه ، ذلك أنّ الإسلام وحده الذي يعترف بالآخرة اعترافاً ، ويرى أن للكون خالقاً عادلاً وحكيماً ، وللحياة هدفاً وغاية ، ولله رُسُلاً وسفراء، وأنّ مهمّتهم تحديد ذلك الهدف، والسير بالناس نحو السعادة، كما يرى: إنّ للمحسن جزاءً جزيلاً، وللمجرم عقوبة صارمة، وبذلك يحدّد حاجة الإنسان ويضبط جشعه وميوله اللامتناهية في المأكل والملبس ، وحبّ العلو والسيطرة، فالشريعة الإسلامية تعيد الإنسان إلى

الفارسية .

[٣] ـ تطرق الإمام المؤلّف (دام ظلّه) في الحديث عن هذا التنبؤ في كتابه «الغرب يتغيّر» .

وضعه الطبيعي ، وتعرّف له أهدافه ، وتنظّم له متطلّباته .

ولهذا كان الإسلام دين الفطرة : ﴿**فطرت الله التي فَطَرَ النّاسَ عليها لا تبديلَ لخلقِ الله**﴾[٤].

والفطرة لا تتبدّل مثلها كمثل سائر ما خلقه الله تعالى من المعادلات الكونية الثابتة التي لا تقبل التغيير ، وذلك ابتداءً من الذرّة وانتهاءً بالمجرة .

نعم، من قوانين الله : التحويل والتبديل في ضمن إطار خاصّ جعله سبحانه كما بَيّنَه تعالى في كتابه : ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾[٥].

أمّا كيف أنّ الآثار تدلّ على أن الغرب يتغيّر ؟ فهو لما يلي :

أولاً : إن الغرب بات منطوياً على أمور مخالفة للعقل، ومناقضة للإنسانيّة، فبعض تلك الأمور كان منشؤها: الجهل، وأخرى: الجشع، وثالثة: ردود الفعل عن محاكم التفتيش ، ورابعة: ردود فعل الناس عن الكنيسة التي وقفت في وجه العلم بدلاً من أن تحتويه وتستثمره في خدمة الدين ، فتجرّد العلم عن الدين ، والدين عن العلم ، وحصل الافتراق بينهما ممّا أدّى إلى نشوء مدرستين : مدرسة الدين ، ومدرسة العلم ، ولكلّ واحد أتباعه وأنصاره !

ثانياً : إنّ سنّة الله في الحياة حكومة العقلاء للبلاد ولو بعد حين، إمّا مباشرة وإمّا تسبيباً .

من أجل هذه السنّة وتلك المخالفة للعقل ، علت في سماء الغرب صرخات منذرة من بعض علمائهم تنادي بالتغيير، وتعرب عن انزعاجها من الوضع القائم ، الذي تحكّمت فيه المادّية البحتة ، حتّى أصبح الإنسان آلة صناعية أشبه بالإنسان الآلي .

فهناك الخواء الروحي، واستغلال المرأة ، وتفشي البطالة، واستشراء العنف الجنسي، وانتشار الأمراض الزهرية وتفسّخ النظام الاجتماعي «العائلي» ، وانتشار

---

[٤] ـ سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٥] ـ سورة فصّلت : الآية ١١ .

الرذيلة والفقر والمرض ، وتطوّر الأسلحة الفتّاكة التي يعاني منها المجتمع الغربي، رغم الإنجازات العلميّة الهائلة والتقدّم الصناعي الكبير .

فإذا دققنا النظر في جسم المجتمع الغربي، وجدناه جسماً مشوّهاً غير متناسق في أعضائه ، فإنّه قد طال فيه الأنف على حساب اليد، وتضخّمت الرجل على حساب الرأس ، ووضعت العين مكان الأذُن، والأذُن مكان العين ، وهكذا ، في حين أنّ الحكمة تكمن في تناسق الجسد وانسجام أعضائه ، ووضع كلّ شيء في مكانه ، وحسب مقداره ونسبته .

إذن فالغرب اليوم عليه أن يتدارك نفسه ، ويستعيد تناسقه ، فيضع كلّ شيء موضعه ، في القانون والسياسة والاجتماع والاقتصاد ... ، وبالمقدار المتلائم مع طبيعته وفطرته ، كما أنّ عليه إذا أراد أن لا تتحطّم حضارته، أن يبدأ مسيرة العودة إلى الفطرة والعقل، كما تشير بعض القرائن إلى عودته في المستقبل القريب، وربّما لا يتجاوز ذلك العقد الواحد من الزمن إذا شاء الله تعالى .

وهذه الفترة الزمنيّة للتغيير بمقدار ما يبذله المسلمون من جهود في مساعدة شعوب الغرب على تحقيق هذا النهوض ، والعودة إلى منهج الإله الحكيم، الذي أوضحه ورسمه الدين الإسلامي الحنيف، وذلك يتم بأمرين :

الأوّل : أن يطبّقوا الإسلام على أنفسهم ، ليرى عقلاء الغرب عقلانية القوانين الإسلامية وجمالها ، فيقتدوا بها، وهذا ليس محالاً، فقد حدث مثله سابقاً ، حيث أخذ الغرب من المسلمين العلم والثقافة والنظافة والنظام والحرّية والإتقان .. وحيث دخل بلاد الغرب شيء من موازين الإسلام ، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك بقوله : (**الله الله في القرآن لا يسبقنّكم بالعمل به غيركم**)[٦].

الثاني : أن يعمل المسلمون الذين هاجروا إلى الغرب ، على تحطيم الحواجز النفسيّة والفكريّة ، التي تعيق أذهان بعض المسلمين ، وأذهان الغربيين عن تقبّل

---

[٦] ـ نهج البلاغة : الكتاب ٤٧ .

الإسلام كمنهج متكامل للحياة، والتي تعمّقت جرّاء الحروب الصليبيّة . وتحطيم الحواجز يتمّ عبر وضع برنامج ثقافي ، فكري ، إعلامي متكامل يعكس صورة صحيحة عن الإسلام بما يتضمّن من القوانين الإلهيّة ، التي تكفّل للأمّة «الحياة» بما للحياة من معنى ، قال الله تعالى : ﴿**إذا دعاكُم لما يُحييكُم ...**﴾[٧].

وإنّي أرى أنّ المسلمين يمتلكون أرضية صالحة للوصول إلى تلك الأهداف، فعددهم في أمريكا وحدها يقارب العشرة ملايين ـ حسب بعض الإحصاءات[٨] ـ، بينما لا يصل عدد اليهود الذين احتكروا الإعلام والثقافة والمال إلى خمسة ملايين. والفارق بينهم: أن اليهود في الغرب أمة واحدة ، والمسلمين طوائف شتى متناحرة !

والذي يقوّي من رصيد المسلمين في الغرب : أنّ الإسلام يحترم المسيحيّة والمسيح عليه السلام ، بعكس اليهوديّة التي تجرح المسيح وتتّهم أمّه: ﴿**وقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً ۞ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ...**﴾[٩].

فهناك فرق كبير بين أولئك اليهود ، وبين من يرى المسيح نبيّاً من أولي العزم ، ويرى أمّه صدّيقة، ﴿**إنّ الله اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصطَفاكِ على نساءِ العالمين**﴾[١٠]، ويخصّص لهما سورة قرآنية كاملة تتحدّث عن طهارتهما ونزاهتهما .

وعليه : فهذا الموقف الإسلامي من المسيحيّة لَهُوَ مكسب كبير للمسلمين على طريق هداية الشعوب الغربية نحو «الإسلام» ، دين الرحمة والحقيقة والسلام ، ليعيش العالم بسلام ...

وسنتطرّق في هذا الكتاب إلى ذكر عناوين العديد من العوامل الرئيسيّة ، التي تساعد المسلمين على العودة إلى عزّهم وسيادتهم ، كما تساعدهم على التعريف النظري والعملي الأكمل بالنسبة إلى الدين الإسلامي للشعوب الأخرى، والله المستعان .

---

[٧]_ سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

[٨]_ هناك إحصاءات أخرى تشير إلى تراوح عددهم بين ٥ . ٨ ملايين .

[٩]_ سورة النساء : الآيات : ١٥٦ . ١٥٧ .

[١٠]_ سورة آل عمران : الآية ٤٢ .

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

النظم

الإسلام أهدى إلى المجتمع أفضل وأشمل النظم الحيوية تطبيقاً للتشريع على التكوين ، وشملت النظم جميع مرافق الحياة من الذرّة إلى المجرة ، فقد ورد في كتاب الله : ﴿**من كلّ شيءٍ موزون**﴾[11]، وفي الحديث عن الإمام علي «عليه أفضل التحيّة والسلام»: (**الله الله في نظم أمركم**)[12] وقوله سبحانه : ﴿**يسئلونك عن الأهِلَّةِ قُل هي مواقيتُ للنّاسِ والحَجّ**﴾[13].

إذن فكلّ شيء عند الله له وقت وزمان ، فهناك مواقيت زمانية ، كما هنالك مواقيت مكانية ، فللحج توقيت سنوي ، وللصوم ميقات في شهر خاصّ ، وللصلاة توقيت شمسي ، وللخمس توقيت حسب الشهور القمريّة في أرباح المكاسب ، وفي الزكاة توقيت حسب الشهور القمرية في الذهب والفضّة ، وحسب الشمسيّة في الغلاّة والأنعام .

وهكذا في سائر مرافق الحياة يجري قانون النظم ، ولا يدع للفوضى مجالاً ، فحتّى أشهر الحمل، والبلوغ، والعادة الشهرية، وسن اليأس وأيّام العدّة في الوفاة والطلاق ، ونجوم الديّة ، لها مواقيت وساعات تنظّم مكانتها في هذه الحياة، كما هنالك أدعية خاصّة لكلّ ساعة ساعة ، وهكذا هلمّ جرّاً .

وعندما يقول القرآن : ﴿**والسّماء ذات البُروج**﴾[14]، فربّما يراد منها : البروج الإثني عشر كما هنالك تفسير في ذلك ـ لا ما إذا أريد منها الارتفاعات ـ وهكذا

---

[11] ـ سورة الحجر : الآية ١٩ .

[12] ـ نهج البلاغة : الكتاب ٤٧ .

[13] ـ سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

[14] ـ سورة البروج : الآية ١ .

في سائر الآيات و﴿**عدد السنينَ والحِسابَ**﴾[١٥]، و﴿**بحُسبانٍ**﴾[١٦] إلى غير ذلك .

ومن الواضح : إنّ الإنسان يميل بفطرته إلى التوقيت في أعماله وديونه وعقوده ومعاملاته وشتى جوانب حياته ، والإسلام حينما بزغ نوره لم يترك أمر الناس فوضى بل أهتمّ بالنظم ، لانطباق التشريع على التكوين ، ولذلك مال الناس إليه واعتنقوه. لكنّ المسلمين لم يستفيدوا من تلك المواقيت والنظم في التطوّر العلمي ، وتركوا ذلك للغرب الذي اعتمد في تطوّره التقني والحضاري والاقتصادي والعسكري على مبنى تلك النظم والمواقيت والسنن الإلهيّة الثابتة ، فانفضّ الناس عن الإسلام ، وتجمّعوا حول الغرب .

وإذا أراد المسلمون الرجوع إلى أصالتهم وسيادتهم ، فلابدّ من الرجوع إلى النظم والسنن الإلهيّة في جميع أمورهم : السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة ، علماً بأنّها هي الصورة الحقيقيّة لما أقرّه الله سبحانه لإدارة أمور العباد في المعاش والمعاد[١٧].

عن النعمان قال : كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يسوّي صفوفَنا حتّى كأنّما يسوّي بها القداح حتّى رأى أنّا قد غفلنا عنه ثمّ خرج يوماً فقام حتى كاد أن يكبّر ، فرآى رجلاً بادياً صَدرَهُ فقال :

(عباد الله لتسوّون صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكُم)[١٨].

من وصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابنيه الحسن والحسين «عليهما السلام» لما ضربه ابن مُلجم لعنه الله :

---

[١٥] ـ سورة الإسراء : الآية ١٢ .

[١٦] ـ سورة الرحمن : الآية ٥ .

[١٧] ـ راجع «موسوعة الفقه : كتاب الإدارة» وكتاب «السبيل إلى إنهاض المسلمين» للإمام المؤلّف .

[١٨] ـ تنبيه الخواطر : ص٤٩١ . مجموعة درام : ج٢ ص٢٦٧ .

(أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغَهُ كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم)[١٩].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن :

(ألا إنّ فيه علمُ ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم ، ونظم ما بينكم)[٢٠].

وعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال :

(نظامُ الدّينِ خصلتان: إنصافك من نفسك، ومواساة إخوانك)[٢١].

قال الإمام الباقر عليه السلام :

(حبّنا أهل البيت نظام الدّين)[٢٢].

قال الإمام الرضا عليه السلام :

(إنّ الإمامةَ زمام الدّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدّنيا)[٢٣].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(نظام الدّين مخالفة الهوى والتّنزّه عن الدنيا)[٢٤].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(مكان القيم من الأمر مكان النّظام من الخرز، يجمعه ويضمّه فإنّ انقطع النظام تفرّق وذهب ، ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً)[٢٥].

---

[١٩]_ نهج البلاغة : الكتاب ٤٧ .

[٢٠]_ نهج البلاغة : خطبة ١٥٨ .

[٢١]_ تصنيف غرر الحكم : ص٣٩٤ .

[٢٢]_ بحار الأنوار : ج٧٥ ص١٨٣ .

[٢٣]_ الكافي (أصول) : ج١ ص٢٠٠ ح١ .

[٢٤]_ تصنيف غرر الحكم : ص٢٤١ .

[٢٥]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٩ ص٩٥ ب١٤٦ .

الحرّية

الحرّيـة في النظـام الإسـلامي كالقلـب بالنسـبة للجسـد ، ففـي الإسـلام أوسـع الحرّيّات وأشملها ، فالأصل في كلّ شيء الحرّية إلاّ المحرّمات المعدودة .

فمـن حـقّ الإنسـان أن يسـافر أينمـا شـاء ، وأن يقـيم حيثمـا أراد، وأن يتـاجر ويكتسب المال ، وأن يزرع ، وأن يعمّر ، وأن يحوز المباحات حسب ما يسمح به الشرع وفي إطار «لكم»[٢٦].

ولما بزغ فجر الإسلام كان همّه الأوّل القضاء على الاستبداد والقهر والظلم .. وهـذه الأمـور لا تتحقّـق إلاّ بالحرّيـة . ولـذا حـارب الإسـلام كـلّ عوامـل الفسـاد ، وعـانى مـن أجـل أن يرفـع عـن النـاس الإصـر والأغـلال : ﴿**ويضـعُ عـنهُم إصـرَهُم والأغلالَ التي كانَت عليهِم**﴾[٢٧].

نعـم كـان النـاس قبـل الإسـلام يعيشـون الفوضـى ، يغتصبون النسـاء ، ويحتسـون الخمر ، ويلعبون الميسر ، ويأكلون المحرّمات من اللحوم .. لكنّ الشريعة الإسلامية منعت كلّ ذلك رعاية لمصالح الفرد والمجتمع ، فالحظر عنها كان لصالح الإنسان، مثل: تحريم القتل والوأد والاغتصاب والسرقة وما أشبه .

ولذا نجد عقلاء الغرب ينادون اليوم بلزوم منع تلك المنكرات قانوناً في مجتمعاتهم .

---

[٢٦]_ مقصود المؤلّف من « لكم » الآية المباركة ﴿ أحلّ لكم ما في الأرض جميعاً﴾ ولمزيد من التفصيل راجع كتاب : «الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرّية والرفاه والسلام» ، و«الفقه : الاقتصاد» ، و«الفقه : الدولة الإسلامية» للإمام المؤلّف .

[٢٧]_ سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

ثمّ إنّ كثيراً من حكّام المسلمين جنحوا إلى الكبت والإرهاب ووضع القوانين والقيود الكابتة للحرّيّات ـ جهلاً أو غروراً أو استعلاءاً في الأرض ، أو لأكل أموال الناس بالباطل ـ فأخذ الناس ينفضوّن من حولهم ، ويلجأ كثير منهم إلى بلاد الغرب ، حيث أنّ الغرب اعترف ببعض الحرّيات الإنسانيّة وأخذ بها وسنّ لها قوانين : كحرّية الصحافة والسفر والتجارة ، لكنّه بقيت فيه حرّيات عديدة ومهمّة مفقودة ، وإلى جانبهما قوانين كابتة لحقوق الناس ، مثل : الحدود الجغرافية والجنسية والهوية وبطاقة العمل .. وما أشبه ذلك .

وممّا يؤسّف له : أنّ أنظمتنا تبرّر إلغاء الحرّيات : بالفوضى .

لكنّ السؤال : لماذا لم تستلزم الحرّيات الفوضى في بلاد الإسلام طيلة قرون وقرون ؟[٢٨]، وإذا فرض الاضطرار إلى وضع بعض القوانين الاستثنائيّة ، فهي نماذج قليلة ومؤقّتة ، وهي ليست للتشريع الدائم بل استثناءات اقتضتها الضرورة ، والضرورات تقدّر بقدرها ، زماناً ومكاناً ، كمّاً وكيفاً ، ولا يجوز الإفراط[٢٩].

قال الإمام علي عليه السلام : (**لا تكُن عبدَ غيرك وقد جعلَكَ الله حُرّاً**)[٣٠].

عن الإمام علي عليه السلام إنّه قال :

(**من أراد أن يعيشَ حرّاً أيّام حياته فلا يسكنُ الطمع قلبه**)[٣١].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(**خمس خصالٍ من لم تكن فيه خصلةٌ منها فليس فيه كثير مستمتع ، أوّلها : الوفاء ، والثانية : التدبير ، والثالثة : الحياء ، والرابعة : حُسنُ الخُلق ،**

---

[٢٨]_ تطرق الإمام المؤلّف إلى أشباه ذلك في كتاب : «الفقه : الحريّات» .

[٢٩]_ راجع : «موسوعة الفقه ج١٠٠ كتاب : الحقوق» و«ج١٠١ كتاب : الدولة الإسلامية» للإمام المؤلّف .

[٣٠]_ بحار الأنوار: ج٧٤ ص٢١٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٩٣.

[٣١]_ تنبيه الخواطر : ص٤٠ ، مجموعة ورام : ج١ ص٤٩ باب الطمع وغيره .

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال : الحرّية)[٣٢].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**أيّها الناس إنّ آدم لم يَلد عبداً ولا أمة وإنّ الناس كلّهم أحرار ...)**[٣٣].

قال الإمام الكاظم عليه السلام : (**أولا حرٌّ يدع هذه اللّماظة لأهلها** ـ يعني الدنيا ـ **فليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها بغيرها)**[٣٤].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**ليس بلدٌ أحقّ بك من بلد ، خير البلاد ما حملَكَ)**[٣٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال : (**الحرّية منزّهة من الغلّ والمكر)**[٣٦].

---

[٣٢]_ بحار الأنوار : ج٧١ ص١٧٥ ح٧ ب١١ . الخصال : ص٢٨٤ .

[٣٣]_ جامع السعادات : ج١ ص١٩٨ .

[٣٤]_ تحف العقول : ص٢٩٢ .

[٣٥]_ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم : ص٣٢٥ .

[٣٦]_ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم : ص٢٩١ .

الشورى

لقد كان من أهمّ أسباب التفاف الناس حول الدين الإسلامي الحنيف هو : ما وجدوا فيه من الشورى ، حيث قال سبحانه : ﴿**وأمرُهُم شَورَى بَينَهُم**﴾[٣٧] و﴿**شاوِرهُم في الأمرِ**﴾[٣٨] و﴿**تشاوُر...**﴾[٣٩]، ومن المعلوم : إنّ المجتمعات تهتم بآرائها كما تهتم بأجسامها وسمعتها وبشؤونها الأخرى ، ولربّما تهتم بآرائها أكثر ممّا تهتم بغيرها ، ليس هناك دين كالدين الإسلامي وَفَّرَ للناس الحرّية في آرائها حيث جعل الشورى ، وأوكل الأمر في مثل زماننا الذي هو زمن غيبة المعصوم إلى أهل الخبرة ، وذوي الكفاءة ، وذلك بانتخاب الناس لهم ، وإلى هذا المعنى أشار علي عليه السلام بقوله :

(**أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنّة**)[٤٠] كما تطرّقنا إلى بعض ذلك في كتاب : «الشورى في الإسلام» و«الفقه : السياسة»[٤١]، و«الفقه الاجتماع»[٤٢] وكتب أخرى عديدة .

والشورى التي نصّ الإسلام عليها جاريةٌ في جميع الأمور الصغيرة منها والكبيرة باستثناء النبوّة والإمامة والأحكام ، لأسباب وعلل عقليّة كثيرة ذكرها العلماء في علم الكلام[٤٣].

---

[٣٧]_ سورة الشورى : الآية ٣٨ .

[٣٨]_ سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

[٣٩]_ سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

[٤٠]_ بحار الأنوار : ج٨٦ ص١٩٦ ، سليم بن القيس : ص١٨٢ .

[٤١]_ موسوعة الفقه : ج١٠٥ . ١٠٦ .

[٤٢]_ موسوعة الفقه : ج١٠٩ . ١١٠ .

[٤٣]_ تطرق الإمام المؤلّف لذلك في العديد من كتبه منها : «القول السديد في شرح التجريد» .

وإذا توفّرت الشورى ، توفّر أمران :

الأوّل : مشاركة الناس في شؤون الدولة ومشاطرتها مصاعبها ومشكلاتها .

الثاني : صعود المؤهلين وأصحاب الكفاءات إلى مرافق الحكم والإدارة ، ممّا يسبّب تقدّم البلاد والعباد ، وذلك أنّ الشورى تأتي بالأفضل فالأفضل .

قال الإمام علي عليه السلام : **(من شاور الرجّال شاركها في عقولها)**[٤٤].

وقال أيضاً : **(من استبدَّ برأيه هلك)**[٤٥] ، لكن المسلمين تركوا هذا الأمر في أغلب شؤونهم ، وعلى رأسها الحكم ، واختيار المدير والمدبّر لإدارة البلاد ، وركنوا إلى الاستبداد بالرأي في أغلب شؤونهم حتى بالنسبة إلى الحكم والإدارة، فكانت النتيجة : هذا التأخّر الذي نراه اليوم .

وربّما يعترض على ملزمية رأي المنتخبين : بأنّ الانتخاب وكالة ، وهي غير لازمة .

والجواب عنه بما يلي :

أوّلاً : يمكن الإلزام فيها بالشرط في ضمن عقد لازم .

ثانياً : من الممكن أن يقال أنّ الانتخاب بهذه الكيفيّة عقد جديد ، و﴿**أوفُوا بالعُقُود**﴾[٤٦] يشمله من دون أن يكون وكالة حتّى يكون جائزاً غير لازم .

وقد ذكر الفقهاء : إنّ أدلّة المعاملات إمضائية لما يُقرّه عرف العقلاء ، فإذا وجد عقد جدي يعدّه العقلاء معاملة صحيحة فإنّه يمضيها الشارع حسب العمومات المذكورة ، إلاّ إذا نهى عنها بالخصوص، مثل الرّبا[٤٧]، ويؤيّده قول الإمام علي عليه السلام: **(أن يختاروا)**[٤٨]، وقوله عليه السلام : **(فإنّه رضى)**[٤٩] كما في نهج

---

[٤٤] _ نهج البلاغة : قصار الحكم ص١٦١ .

[٤٥] _ نهج البلاغة : قصار الحكم ص١٦١ .

[٤٦] _ سورة المائدة : الآية ١ .

[٤٧] _ لقد فصّل الإمام المؤلّف الحديث عن العقود المستحدثة في «الفقه : البيع» ، وغيره فليراجع .

[٤٨] _ بحار الأنوار: ج٨٦ ص١٩٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢١٩.

البلاغة[٥٠].

لقد ترك المسلمون الشورى ، فيما تظاهر الغربيون بها وادّعوها بصورة أو بأخرى ، وبذلك تقدّموا على المسلمين ، ولذا ترى رؤساءهم يتغيّرون بين فترة وأخرى ، وإن كانت هناك ملاحظات عديدة على طريقتهم في الانتخاب[٥١]، غيّر أنّ أمور الناس السياسيّة والاقتصاديّة والصناعيّة تسير بهم إلى الأمام عادة ، فترى المجتمع يلتف حولهم ، في حين انفضّوا من حول الإسلام ، بما فيهم المسلمون أنفسهم .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**إنّما حضّ على المشاورة لأنّ رأي المُشير صِرفٌ ، ورأي المُستشير مشوبٌ بالهوى**)[٥٢].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**لا ظهير كالمشاورة**)[٥٣].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**الحزمُ أن تَستَشير ذا الرّأي وتطيع أمرَهُ**)[٥٤].

روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إنّه قال : (**ما من رَجُلٍ يُشاوِر أحداً إلاّ هدى إلى الرشد**)[٥٥].

قال الإمام علي عليه السلام : (**من شاوَرَ الرّجال شاركَها في عُقُولِها**)[٥٦].

في باب وعظ الإمام الحسن بن علي عليه السلام :

---

[٤٩]_ نهج البلاغة : الكتاب ٦ .

[٥٠]_ هنالك أجوبة أخرى تطرق لها الإمام المؤلّف في طيّات موسوعة الفقه فراجع : «الفقه : الحقوق» و«الفقه : الدولة الإسلامية» و«الفقه : الإدارة» .

[٥١]_ راجع : «الفقه : السياسة» ، و«الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرّية والرفاه والسلام» للمؤلّف .

[٥٢]_ تصنيف غرر الحكم : ص٤٤١ .

[٥٣]_ نهج البلاغة : حكم ٥٤ . وسائل الشيعة : ج٨ ص٤٢٥ ح٥ .

[٥٤]_ بحار الأنوار : ج٧٢ ص١٠٥ . أعلام الدين : ص٢٩٤ .

[٥٥]_ تفسير نور الثقلين : ج٤ ص٥٨٤ .

[٥٦]_ تصنيف غرر الحكم : ص٤٤١ .

قال : **(ما تشاوَرَ قومٌ ، إلاّ هُدوا إلى رُشدِهم)**[٥٧].

قال الإمام علي عليه السلام : **(ما ضلّ من استشار)**[٥٨].

عن أبي عبد الله «عليه أفضل الصلاة والسلام» قال : **(لن يُهلك امرء عن مشورةٍ)**[٥٩].

قال الإمام علي عليه السلام : **(الاستشارة عَينُ الهِداية)**[٦٠].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(مشاورَة العاقِل الناصح رُشدٌ ويُمنٌ وتوفيق من الله ، فإذا أشار عليك الناصحُ العاقِلُ فإيّاكَ والخلافَ فإنّ في ذلك العطبُ)[٦١].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(لا تستصغِرنّ عندك الرأي الخطير إذا أتاك به الرّجلُ الحَقير)[٦٢].

قال الإمام علي عليه السلام :

(عليك بالمشاورة فإنّها نتيجة الحزم)[٦٣].

وقال أيضاً : **(أفضل من شاورت ذو التجارب وشرّ من قارنت ذو المعايب)**[٦٤].

وقال أيضاً: **(من استشار ذوي النهى والألياف فاز بالحزم والسداد)**[٦٥].

وقال أيضاً : **(وشاوروا فالنجح في المشاورة)**[٦٦].

---

[٥٧] _ بحار الأنوار : ج٧٥ ص١٥٠ . تحف العقول : ص٢٣٣ .

[٥٨] _ تصنيف غرر الحكم : ص٤٤٢ .

[٥٩] _ وسائل الشيعة : ج٨ ص٤٢٥ .

[٦٠] _ وسائل الشيعة : ج٥ ص٤٢٥ .

[٦١] _ وسائل الشيعة : ج٥ ص٤٢٦ .

[٦٢] _ غرر الحكم : ص٤٤١ .

[٦٣] _ غرر الحكم : ص٤٤١ .

[٦٤] _ غرر الحكم : ص٤٤٢ .

[٦٥] _ غرر الحكم : ص٤٤٢ .

وقال أيضاً : (**لا يستغني العاقل عن المشاورة**)[٦٧].

وقال أيضاً : (**أمخضوا الرأي مخض السقاء ينتج سديد شديد الآراء**)[٦٨].

وقال أيضاً : (**لا رأي لمن انفرد برأيه**)[٦٩].

قال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**ما من رجل يشاور أحد إلاّ هدي إلى الرشد**)[٧٠].

---

[٦٦]_ غرر الحكم : ص ٤٤١ .

[٦٧]_ غرر الحكم : ص ٤٤١ .

[٦٨]_ غرر الحكم : ص ٤٤١ .

[٦٩]_ مستدرك الوسائل : ح٨ ص٣٤١ ح٩ ب٩ .

[٧٠]_ مجمع البيان : ج٣ ص١٣٣ .

الوحدة

كلّ إنسان يطمح إلى توسيع دائرة تحركه وانطلاقه بلا قيد أو شرط، والإسلام وحده الذي وفّر ذلك الطموح للمجتمع بأقصى حدّ عقلائي ، حيث جعل المسلمين كلّهم أخوة متحابين ، وجعل بلادهم كلّها بلداً واحداً ، فقال عزّ من قائل : ﴿**إنّ هذه أمّتكُم أُمّة واحدَة وأنا ربّكم ...**﴾ [٧١].

فكان المسلم يرحل من أقصى جنوب البلاد الإسلامية إلى أقصى شمالها وبالعكس ، ومن أقصى شرقها إلى غربها وبالعكس من دون أن يشعر بالغربة ، بل كان المسلم يسافر أيضاً إلى بلاد الكفر من دون حدود إذا أمِنَ شرّ الكفّار وكيدهم ، وبالعكس أيضاً ، فكان الكافر يسافر إلى بلاد المسلمين بذمّة ، أو عهد ، وما أشبه .

كان ذلك جارياً حتّى مع تعدّد الحكّام في الدول الإسلاميّة، حيث كان وضع الدول الإسلاميّة المتعدّدة ـ إلى حدّ بعيد ـ يشبه وضع محافظين في عدّة محافظات تابعة لدولة واحدة في عرف هذا اليوم ، ولكن المسلمين أساءوا إلى حظّهم حينما تخلّوا عن هذه النعمة الكبيرة «الوحدة» وبدؤوا بتجزئة البلاد الإسلامية ليتحوّلوا إلى كتل متناحرة ودويلات ضعيفة وشعوب متخاصمة .

فتفرّقوا شيعاً فكلّ قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبرُ

فتحوّلت كلّ مجموعة أميال من الأرض ، وعليها جماعة قليلة من المسلمين إلى دولة تحارب من أجل حدودها الجغرافيّة ، وقد قال سبحانه : ﴿**ولا تنازَعُوا**

---

[٧١] ـ سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

فتفشَلُوا وتذهَبَ ريحُكُم ...﴾ [٧٢]، بينما عمل غيرنا يوحّد أراضي شاسعة ، وقوميّات مختلفة ، تحت أسماء مشتركة ، فاجتمعت على أثرها دول القارة الأوربية تحت اسم دول السوق الأوربية المشتركة ، ثمّ في إطار وحدوي أوسع ، بالرغم من تضارب الأديان و الحدود والعملات والقوميّات والمناخات الجغرافية والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة ، لكنّهم مع هذا التباعد الكبير أخذوا يجمعون هذه الدول ويوحّدونها باسم «السوق» ، ومن قبل هؤلاء توحّدت الهند[٧٣] والصين .

أمّا نحن المسلمين وبالرغم من القواسم المشتركة الكثيرة بيننا ـ حيث الديانة الواحدة والثقافة الواحدة والحدود الجغرافية الواحدة وأحياناً اللغة الواحدة ـ أصبحنا اليوم نرفض الاتّحاد ونميل إلى التجزئة، وذلك بعد أن كنّا أمّة واحدة ، وكانت أراضينا الإسلاميّة موحّدة ، وقد شاهدت شخصيّاً كثيراً من الناس يسافر من العراق إلى الكويت ، ثمّ إلى البحرين والجزيرة العربيّة وإيران وسوريا ولبنان ، وأقصى بلاد الإسلام ، دون تأشيرة وجواز أو هويّة أو ترخيص ، كما أنّهم كانوا يأتون إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة كذلك .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون)[٧٤].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(قلوب الرجال وحشيّة فمن تألّفها أقبلت عليه)[٧٥].

عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال :

---

[٧٢]_ سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

[٧٣]_ التفصيل حول تجربة الهند راجع كتاب: «عند قدمي غاندي» لمؤلّفه لبراسات، وكتاب : «تجاربي مع الحقيقة» لمؤلّفه غاندي .

[٧٤]_ بحار الأنوار : ج٧٤ ص١٥٠ ح١ ب٧ . مشكاة الأنوار : ص١٨٠ الفصل الثالث والعشرون .

[٧٥]_ تصنيف غرر الحكم : ص٤١٤ .

(إزالة الرّواس أسهلُ من تأليفِ القلوب المتنافرَة ...)[٧٦].

قال الإمام الباقر عليه السلام :

(صلاح شأن الناس التعايش والتعاشر ملء مكيال : ثلثاه فطن ، وثلث تغافل)[٧٧].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لشيعته :

(كونوا في الناس كالنحلة في الطير ليس شيء من الطير إلاّ وهو يستخفّها، ولو يعلمون ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، لكلّ امرئ ما أكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب)[٧٨].

سُأل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿**كان الناس أمّة واحدة ...**﴾ فقال : **(كان هذا قبل نوح أمّة واحدة ...)**[٧٩].

وورد عن علي عليه السلام : **(إصلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل)**[٨٠].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(إنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمر واحد إلاّ اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدتهم ...)**[٨١].

عن الإمام علي عليه السلام إنّه قال : **(ألزموا السوادَ الأعظم ، فإنّ يد الله على الجماعة، وإيّاكم والفرقة ، فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذ من**

---

[٧٦]_ بحار الأنوار : ج٧٥ ص١١ ح٧٠ ب١٥ .

[٧٧]_ بحار الأنوار : ج٧١ ص١٦٧ ح٣٤ ب١٠ .

[٧٨]_ بحار الأنوار : ج٧٢ ص٤١٠ ح٥٤ ب٨٧ .

[٧٩]_ تفسير نور الثقلين : ج١ ص٢٠٨ .

[٨٠]_ تحف العقول : ص٣٥٩ .

[٨١]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٣ ص١٨٥ ب٤٦ .

الغنم للذئب)[٨٢].

[٨٢]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٨ ص١١٢ ب١٢٧ .

الأخوة

كانت القبائل العربية تغزوا بعضها البعض ، القوي يأكل الضعيف، والكبير لا يعطف على الصغير ، والصغير لا يحترم الكبير ، حتّى جاء الإسلام فجمع الناس تحت ظلّه ودعاهم إلى الأخوة والتضامن ، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**إنّما المؤمنون أخوة ...**﴾[٨٣]، وهذه الحقيقة كرّسها الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» عملياً في حياته ، حيث آخى بين أصحابه مرّتين : مرّة في مكّة ، ومرّة في المدينة ، ليتعوّد المسلمون على الأخوة ، ويواسي أحدهم الآخر إذا أصابته نكبة أو كارثة ، أو هاجر من مسقط رأسه .

ومعنى الأخوة : أنّ كلّ مسلم في أيّ بلد من بلاد الإسلام أخ لإخوانه المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، فله الحقّ في التجارة والكسب والزواج والتزويج والامتلاك وحيازة المباحات وما إلى ذلك من الحقوق ، وهكذا كان المسلمون سابقاً .

لكن مع مرور الزمن ظهر حكّام مرتبطون بالغرب عطّلوا القوانين الإسلاميّة واسقطوا الأخوّة ، فصار كلّ مسلم لا يهمّه سوى نفسه ، ولا علاقة له بأخيه المسلم في أي بقعة كان من العالم .

وهذه الظاهرة بدأت تتكرّس حتّى عُدّ من يعيش ضمن كتلة جغرافية واحدة مواطناً وإن كان كافراً ، ومن يعيش خارج البلد أجنبياً وإن كان مسلماً .

ولهذا بدأ الناس يتفرّقون عن الإسلام ويفرّون عن البلاد الإسلاميّة، فما قيمة المسلم الذي لا تحترمه البلاد الإسلاميّة وتزعم أنّه أجنبي ، وتحترم غيره وتوفّر له

---

[٨٣] _ سورة الحجرات : الآية ١٠ .

فرص العمل وإن كان معادياً للإسلام ؟

علماً أنّ الإنسان لا يتمكّن أن يرى نفسه مواطناً من الدرجة الثانية ، بل كثيرٌ من هؤلاء الذين يعتبرون من الدرجة الأولى أقل كفاءةً ممّن يُعَدّون من الدرجة الثانية ، بل ربّما لا تجد أيّة كفاءة للدرجة الأولى ، مع أنّ للدرجة الثانية الكفاءة العليا .

انظر إلى الغرب ، إنّهم يقيمون الدنيا ويقعدونها إذا أصيب أحد منهم بسوء ، ومعلوم أنّ هذا الاهتمام الكبير بالمواطن الغربي يدعو المواطن للاحتفاظ بهويّته والالتفاف حول بلاده وحكّامه .

إنّ إسرائيل الغاصبة جمعت اليهود من جميع أنحاء العالم وآخت بينهم، فإذا دخلت إسرائيل الحرب وظّف اليهود كلّ إمكاناتهم وإعلامهم وأموالهم لخدمة إسرائيل ، وترى اليهودي الغربي والشرقي ، والعربي والأعجمي ، والأسود والأبيض، كلّهم يداً واحدة للدفاع عن مبادئهم الواهية .

بينما لو دخلت العراق ـ مثلاً ـ لوجدت النّاس على درجات :

العرب منهم مقسّمين إلى درجات ومراتب ، وغيرهم أيضاً له مراتب ودرجات مختلفة ، مع أنّهم مسلمون جميعاً ومواطنون جميعاً ، وأوفياء لبلادهم جميعاً ، ومع كلّ هذا يدّعي صدّام زمرته إنّهم مسلمون !

وكذلك الأمر بشدة أو ضعف في سائر بلاد الإسلام .

فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا سقوط المسلمين وتفرّقهم عن بلادهم ، بل العجب كلّ العجب إن رأينا سيادتهم أو تقدّمهم !

ألم يقل الله سبحانه : ﴿**ولا تنازَعُوا فتفشَلُوا وتذهَبَ ريحُكُم**﴾[٨٤]، وألم يقل عزّ مِن قائل : ﴿**ومَن أعرَضَ عَن ذِكري فإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكاً ...**﴾ [٨٥].

---

[٨٤]_ سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

[٨٥]_ سورة طه : الآية ١٢٤ .

من وصيّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل :

(يا كميل المؤمنون أخوة، ولا شيء آثر عند كلّ أخٍ من أخيه)[٨٦].

عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنّه قال :

(ومن جدّد أخاً في الإسلام ، بنى الله له بُرجاً في الجنّة من جَوهَرةٍ)[٨٧].

عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنّه قال :

(ألا وإنّ المؤمنين إذا تحابّا في الله عزّ وجلّ، وتصافيا في الله ، كانا كالجسدِ الواحد إذا اشتكى أحدُهما من جسده موضعاً وَجَدَ الآخر ألم ذلك الموضع)[٨٨].

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيّام سأله عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زارَهُ ، وإن كان مريضاً عادَهُ[٨٩].

قال الإمام الكاظم عليه السلام : **(من قَصَدَ إليه رجلٌ من إخوانه مستجيراً به في بعض أحوالهِ فلم يُجرهُ بعد أن يقدِرَ عليه فقد قطعَ ولاية اللهِ عزّ وجل)**[٩٠].

قال الإمام العسكري عليه السلام : **(أعرف الناس بحقوقِ إخوانه وأشدّهم قضاءً لها أعظمُهُم عند الله شأناً)**[٩١].

قال الإمام الصادق عليه السلام : **(اختبروا إخوانكم بخصلتين فإنّ كانتا فيهم وإلاّ فأعزِب ثم أعزِب : المحافظة على الصلوات في مواقيتها ، والبرّ بالإخوان في العُسر واليُسر)**[٩٢].

---

[٨٦]_ تحف العقول : ص١٧٣ .

[٨٧]_ الاختصاص : ص٢٢٧ حديث في زيارة المؤمن لله .

[٨٨]_ كنز الفوائد: ج١ ص٣٥٢ فصل من كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» .

[٨٩]_ مكارم الأخلاق : ص١٩ .

[٩٠]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٣٢٦ ح٤ .

[٩١]_ الاحتجاج : ص٤٦٠ .

[٩٢]_ وسائل الشيعة : ج٨ ص٥٠٣ ح١٠٣ .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد)[٩٣].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(عليك بإخوان الصدق فأكثر من اكتسابهم ، فإنّهم عدّة عند الرخاء ، وجُنّة عند البلاء وشاور في حديثك الذين يخافون الله وأحب الإخوان على قدر التقوى)[٩٤].

---

[٩٣]_ بحار الأنوار : ج٧١ ص٢٨٠ ح٦ ب١٨ .

[٩٤]_ بحار الأنوار : ج٧١ ص١٨٦ ح٧ ب١٣ . الأمالي للشيخ الصدوق ص٣٠٤ المجلس الخمسون .

التفاضل والتمايز

من الأمور التي تسبّب التفاف الناس حول الإسلام انعدام التفاضل والتمايز والطبقيّة ، فالدين الإسلامي لا يفرّق بين الأسود والأبيض ، والأصفر والأحمر، ولا بين الغني والفقير، والقوي والضعيف ، فالناس كلّهم سواسية كأسنان المشط، لا فضل لإنسان على آخر إلاّ بالتقوى:

﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٩٥]، وكلّهم سواسية أمام القانون وفي فرص العمل والتحرّك .

وفي شعر منسوب للإمام علي عليه السلام :

الناسُ من جهة التمثال أكفاءُ أبوهُمُ آدمُ والأمُّ حوّاءُ[٩٦]

وكما أنّ المسلمين في نظر الإسلام أمّة واحدة ، كذلك جميع الكفّار أمّة واحدة ، ولذا قالوا : «الكفر كلّه ملّة واحدة» ، فلا فرق بين أصناف الكفّار إلاّ المحارب منهم ، فإنّه يختلف الكافر المعاهد والمحايد والذّمي عن المحارب في بعض الأحكام الشرعية ، فكلّ كافر غير محارب مأمون على ماله ونفسه وعرضه ، وكلّ كافر حتّى المحارب منهم إذا أسلم ، أصبح يتمتع بجميع الحقوق والامتيازات الإسلاميّة ، فيكون له ما للمسلمين ، وعليه ما على المسلمين .

لكن المسلمين اليوم غضّوا الطرفَ عن هذا القانون الإلهي، وعملوا بالطبقيّة والتفرقة والتمييز حتّى بين أنفسهم ، ولذلك نشاهد اليوم التقسيم الجغرافي

---

[٩٥]_ سورة الحجرات : الآية ١٣ .

[٩٦]_ ديوان الإمام علي عليه السلام ص١٣ .

والقومي متجلياً عبر الهويّة والجنسية وشهادة الجنسية و... .

وهذا الظاهرة تبدو بوضوح في العراق الذي يحكمه النظام البعثي الجائر حيث وضع الجنسية «أ» والجنسية «ب» والجنسية «ج» ، وبعد الجنسية شهادة الجنسية والشهادة لا يحصل عليها الملايين من المواطنين العراقيين ، وهكذا بعض الدول الإسلاميّة الأخرى تنتهج هذا المنهاج من قريب أو بعيد .

وربّما يقال صحيحٌ أنّ الإسلام لا يؤمن بالتمييز والطبقيّة والتفرقة ، ولكنّه يؤمن باختلاف الأحكام بين المسلم والكافر ، وهذا ما يجعل البعض يعترض على الإسلام ويصفه بكونه قانوناً ناقصاً ، ويعتبر الغرب الذي يؤمن بتساوي المسلم والكافر أمام القانون، ذا نظام أشمل وأصلح من النظام الإسلامي .

ولدفع هذا الالتباس نقول :

أوّلاً : إنّ الغرب لم يجعلهم طبقة واحدة ، ولذا فإنّ قوانين الغرب تفرّق بين المواطن الأصلي والمواطن الأجنبي .

ثانياً : إنّ الإسلام يمنح المساواة لمن يدخل في الإسلام من أيّ جنس كان ، وفي أيّ بلد عاش ، أو يعيش، أو يختاره للعيش فيما بعد، حتّى لو كان مسافراً فإنّ له الحقّ في أن يشتري العقارات وأن يتزوّج و... كأيّ مواطن عادّي .

وليس من يدخل بلداً من بلاد الغرب كذلك ، بل هناك قيود متعدّدة تفرض على سفر الإنسان أو هجرته إلى بلادهم ، ثمّ بعد ذلك نجد المسافر أو المهاجر بحاجة إلى فترة زمنيّة يقيم فيها هناك ، وشرائط أخرى عديدة ، كتعلّم اللغة و... .

ثالثاً : في الإسلام قسمان من القوانين : قسم يتساوى فيه الجميع ، المسلم والكافر كقانون المرور والحرّية وحِيازة المباحات ، وقسم من القوانين لا يتساوى فيها المسلم والكافر وتعدّ لصالح الكافر ، مثل قانون «الإلزام»[٩٧] ممّا يفرض على المسلم

---

[٩٧]_ راجع موسوعة الفقه كتاب : «قواعد الفقهية» للإمام المؤلّف (دام ظله) ، كما تطرق الإمام لقاعدة الإلزام في مواضع عديدة من «موسوعة الفقه»، فمثلاً للكافر أن يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر . غير المتجاهر . دون المسلم ، وذلك حسب معتقدة ، كما له أنّ يتزوّج محارمه . فيمن يبيح له دينه ذلك . وهكذا فهو حرّ في إطار دينه وإن كان

الشدّة دون الكافر ، أو يكون للكافر حكمه على حدّة، وللمسلم حكمه على حدّة ، وذلك حسب عقيدتهما ومنهاجهما .

ومن الملاحظ أنّ التمييز في القوانين بين الكفّار في بلادهم ـ حتّى أشدّها ديمقراطية ـ أكبر من التمييز بين المسلمين والكفّار في البلاد الإسلاميّة وأعقد منها[٩٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(إنّ الله تبارك وتعالى قد أذهب بالإسلام نخوةَ الجاهليّة وتفاخرها بآبائها ، ألا إنّ الناس من آدم ، وآدمُ من تراب ، وأكرمهُم عند الله أتقاهم)[٩٩].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(الناسُ في الحقِّ سواءٌ)**[١٠٠].

إنّ امرأتين أتتا عليّاً عليه السلام إحداهما من العرب ، والأخرى من الموالي فسألتاه ، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء ، فقالت إحداهما : إنّي امرأة من العرب ، وهذه من العجم ؟!

فقال عليه السلام : **(إنّي والله لا أجدُ لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق)**[١٠١].

روي إنّ موسى بن جعفر «عليهما السلام» مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر ، فسلّم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً ثم عرض عليه السلام عليه نفسه في القيام

مخالفاً لقوانين الإسلام .

هذا إضافة إلى أن ما يوجد من التفاضل ، إنّما هو على أساس الفكر والعقيدة لا على أساس جاهليّة يرفضها العقل والمنطق كالتفريق أو التفضيل على أساس اللغة والقوميّة والثروة وشبه ذلك .

[٩٨]_ تطرق الإمام المؤلّف إلى هذا المطلب في كتاب «الفقه : الحقوق» .

[٩٩]_ الوافي : ج٤ في وصيّة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لعلي عليه السلام .

[١٠٠]_ نهج السعادة : ج٢ ص٩٧ .

[١٠١]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢ ص١٩٧ ب٣٤ .

بحاجة إن عرضت له . فقيل له : يا بن رسول الله أتنزل إلى هذا ثمّ تسأله حوائجه ، وهو إليك أحوج ؟! فقال عليه السلام : (**عبدٌ من عبيدِ الله ، وأخٌ في كتاب اللهِ ، وجارٌ في بلاد الله، يجمعنا وإيّاه خيرُ الآباء آدم عليه السلام وأفضل الأديان الإسلام ، ولعلّ الدهر يردّ من حاجاتنا إليه فيرانا بعد الزّهو عليه متواضعين بين يديه**)[١٠٢].

عن رجل من أهل بلخ قال : كنت مع الرضا عليه السلام في سفرهِ إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت : جعلتُ فِداكَ لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟ فقال : (**مَه ! إنّ الرّبّ تبارك وتعالى واحد ، والأمَّ واحدة ، والأبُّ واحد ، والجزاء بالأعمال**)[١٠٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر بن الخطّاب : ثلاث إنّ حفظتهنّ وعملت بهنّ كفتك ما سواهنّ ، وإن تركتهنّ لم ينفعك شيء سواهنّ، قال : وما هنّ يا أبا الحسن ؟ قال: إقامةُ الحدود على القريب والبَعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط ، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود ، فقال له عمر لعمري : لقد أوجزت وأبلغت**)[١٠٤].

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يوم فتح مكّة : (**يا أيّها الناس إنّ اللهَ قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهليّة وتفاخرها بآبائها ، إنّ العربيّة ليست بأب والد ، وإنّما هو لسان ناطق ، فمن تكلّم به فهو عربي ، ألا إنّكم من آدم وآدم من تراب ، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**)[١٠٥].

---

[١٠٢]_ تحف العقول : ص٤١٣ .

[١٠٣]_ الكافي (روضة) : ج٨ ص٣٠ ح٢٩٦ ب٨ .

[١٠٤]_ المناقب : ج٢ ص١٤٧ .

[١٠٥]_ تفسير نور الثقلين : ج٥ ص٩٦ .

السلام

رفع الإسلام شعار السلام منذ الوهلة الأولى من نزوله ، فتحيته السلام، وشعاره السلام، وآخر الصلاة السلام ، وقد ورد في الدعاء:

(اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع ويعود السلام، وحيّنا ربّنا بالسلام)[١٠٦].

وفي الآية الكريمة: ﴿**وإن جَنَحُوا للسّلم فاجنح لها وتوكّل على الله**﴾[١٠٧]، وفي آية أخرى : ﴿**ادخلُوا في السِّلم كافّةً ولا تتّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطان**﴾[١٠٨]، و﴿**سلّمُوا على أنفُسِكُم ...**﴾[١٠٩]، إلى غير ذلك.

وقد كانت حروب الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» كلّها دفاعية كما ذكرته في كتاب «في ظلّ الإسلام»[١١٠].

وكان الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» يمتنع عن الحرب والقتل إلاّ في حالة الضرورة القصوى ، ولذا فقد أسلم الناس ، وانضمت إلى حكومته «صلى الله عليه وآله وسلم» العادلة رقعة شاسعة من الأرض يربو مساحتها على مساحة القارة الأوربية ـ باستثناء روسيا ـ أو أكثر من مليون ميل مربّع، ولم يتجاوز مجموع القتلى في جميع هذه الحروب من الطرفين المتخاصمين ألف وثمانية أشخاص على ما ذكره

---

[١٠٦]_ مفاتيح الجنان : ص٣٩٠ .

[١٠٧]_ سورة الأنفال : الآية ٦١ .

[١٠٨]_ سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

[١٠٩]_ سورة النور : الآية ٦١ .

[١١٠]_ في ظلّ الإسلام : بحث السلم ، هكذا الإسلام : ص١١٣ .

بعض المؤرّخين[١١١].

وقد خاطب «صلى الله عليه وآله وسلم» أشدّ الكفّار الذين حاربوه أكثر من عشرين عاماً قائلاً : (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[١١٢]، إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في التواريخ .

والغرب رفع شعار السلام ظاهراً، لكنّه في الحقيقة رفع لواء الحرب تحت غطاء السلام ، ولذا لما عرف الناس أنّهم غير صادقين ، انفضّوا من حولهم ، وحرب الأفيون وفيتنام وهيروشيما وناكازاكي والحربان العالميتان من أبرز الشواهد على أنّ شعارهم كان بلا محتوى .

وإذا أرادت البشريّة الخلاص من هذه الطامّة، فاللازم أن ينضووا تحت لواء الإسلام الصحيح الذي ذكر في الكتاب والسنّة وطبّقه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» وعلي عليه السلام ، وربّما يكون بمقدور الباحث أن يرى أنّ حروب الإمام علي عليه السلام بعد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» المفروضة عليه كانت قد استغرقت منه سبعة وسبعين يوماً فقط وهي : يوم في الجمل ، ويوم في النهروان ، وشهران ونصف في صفّين ، والقتلى الذين قتلوا في حروب الإمام الثلاثة لم يكونوا إلاّ بقدر الدفاع فقط ، ولما انتهت الحرب عفى الإمام عن الجميع حتّى عن أعتى المجرمين أمثال «مروان» و«موسى بن طلحة» وغيرهما ، والكلّ يعلم أنّ «عائشة» قادت حرب الجمل ومع ذلك عفى الإمام عنها وأرسلها إلى المدينة معزّزة مكرّمة ، كما في التواريخ.

وإذا أراد العالم الخلاص من شرّ الحروب فاللازم ـ أوّلاً وبالذات ـ أن يوفّر ثلاثة أمور :

---

[١١١]_ ذكر بعض المؤرّخون إحصاءات أخرى عن عدد القتلى فبعضهم يقول «١٤٠٠» وبعض آخر «١٢٠٠» شخص .

[١١٢]_ تهذيب الأحكام : ج٤ ص٣٦ .

الأوّل : تغيير القوانين التي تهتف بالحرب وتحفِّز عليها .

الثاني : تغيير مصانع السلاح وميزانياتها إلى مصانع البناء لخدمة الإنسان والحياة ، وتلقائياً يكون عمالها عمال بناء بدلاً عن كونهم عمّال حرب .

الثالث : إلغاء الأسلحة الفتاكة والمدمّرة ، والمنع من إنتاجها وادخارها واستخدامها بالمرّة ، وتبديلها بالأسلحة البدائية ، حتّى إذا وقعت حرب ـ لا سمح الله ـ تكون أقلّ ضرراً على الإنسان وإنجازاته.

وإذا تساءل أحدنا : وهل يمكن ذلك ؟

فالإجابة تكون نعم : أمّا الأوّل ففي غاية السهولة ، لأنّ الأوّل يرجع إلى المقنّنين ، ويفرض من العقلاء المحبّين للبشر ولإنجازاته .

والثاني : بحاجة إلى عقد مؤتمرات ، ودعوة عدد كبير من الخبراء الذين يحبّون المصلحة العامّة مع جدولة زمنية للتغيير بحيث لا يوجب بطالة العمّال ، ولا توقّف في الإنتاج والتطوّر .

وأمّا الثالث : فيُعرَف إمكانه من وقوف العالم ضدّ الأسلحة المحرّمة دوليّاً ، وضدّ توسعة الحروب الحالية ، وضدّ انتشار الأسلحة ، وضدّ العدوان وإضرام الحروب ومسبّبيها .

وهذه الرّوح هي التي تفرض منع الأسلحة الفتاكة ، واستبدالها بالأسلحة البدائية الأقل ضرراً ، فإنّه ليس للإنسان روحان : روح تمنع الأوّل ، وروح تسمح بالثاني ، والأمر يحتاج إلى البلورة والتطبيق .

وقد اهتمّ جماعة من المفكّرين بإنشاء الأمم المتّحدة ، وجامعة الدول العربيّة ، وجامعة الدول الإسلاميّة ، وجامعة الدول الإفريقيّة .. وما أشبه ذلك ـ مع قطع النظر عمّا يرد عليها من المؤاخذات ـ فما المانع من أن يهتم جماعة من المصلحين ، بإنشاء منظّمة إصلاحيّة عالميّة للمنع عن إنتاج وامتلاك واستخدام الأسلحة الحديثة ، وبذلك يتوفّر عامل من أهم عوامل إحلال السلام في ربوع العالم ، ويستطيع أن

يعيش الإنسان كما أراده الله سبحانه : ﴿**في السّلم كافّة ...**﴾[١١٣]، آمناً مطمئناً . . . .

قال الإمام الصادق عليه السلام: (**المُسلمُ من سلم النّاسُ من يده ولسانه، والمؤمنُ من ائتمنه النّاس على أموالِهم وأنفسِهم**)[١١٤].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة : (**إنّ الله تعالى خصّكُم بالإسلام واستخلصكُم له ، وذلك لأنّه اسمُ سلامةٍ وجماعُ كرامةٍ اصطفى الله منهجَه وبيّن حجّجه ، من ظاهر علمٍ ، وباطن حُكمٍ ، لا تُفنى غرائبه ، ولا تنقضي عجائبه**)[١١٥].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**ما كان جبرائيل يأتيني إلاّ قال يا محمّد اتّق شحناء الرجال وعداوتهم**)[١١٦].

قال الإمام الصادق عليه السلام : (**من زرع العداوة حصد ما بذر**)[١١٧].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**أتدرون من يحرمُ على النّار ؟ كلُّ هيّنٍ ليّن سهل قريب**)[١١٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**ألا أُخبركُم بخير أخلاق أهل الدُّنيا والآخرة ؟**) قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال: (**إفشاء السَّلام في العالم**)[١١٩].

---

[١١٣]_ سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

[١١٤]_ معاني الأخبار : ص٢٣٩ ، باب معنى المسلم والمؤمن .

[١١٥]_ نهج البلاغة : الخطبة ١٥ .

[١١٦]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٣٠١ ح٩ ب٤٢ .

[١١٧]_ الكافي (أصول) : ح٢ ص٣٠٢ ح١٢ .

[١١٨]_ جامع السعادات : ج٢ ص٣٤٠ .

[١١٩]_ بحار الأنوار : ج٧٣ ص١٢ ح٥٠ ب٩٧ .

الإدارة

لقد حقّق الإسلام نجاحاً باهراً في نظامه الإداري ، حيث استطاع أن يجمع بين ضبط معتنقيه ، وبين أن يطلق الحرّيّات في كلّ شيء إلاّ المحرّمات .

فقد كانت الإدارة الإسلاميّة نموذجاً بسيطاً لا يقبل التعقيد ، وليس لها أيّ ثقل على الناس .

فكان جهاز الدولة التنفيذي عبارة عن أفراد قلائل ، وكان القاضي وأفراد معدودون يشغلون مناصب النظام الإداري ، فلم تكن هناك أيّة دوائر إضافيّة كابتة للحرّيّات ، كإدارة الهجرة والجوازات ومختلف الدوائر الحالية التي تقيّد حرّيّات الناس وتفرض عليهم رسوماً وشروطاً في البناء والتجارة والزراعة والصناعة ، وإلى آخره .

ولقد كانت «الإدارة» في الإسلام مزيجاً : من الثقة والأخلاق والتسامح والإيمان الذي يتحلّى به الناس ، والبساطة في القانون ، وفي هيكليّة النظام ، وفي المعيشة و... ، ولم يكن الفضل في ذلك كلّه إلاّ للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» ـ بأمر الله ـ الذي فرض منهجاً لم يستطع حتّى أسوء الخلفاء تجاوزه إلاّ في دائرة محدودة .

ولقد كان المسلمون جميعاً يشتركون في الجهاد والحرب ضد العدو للدفاع عن حياض الإسلام ، باستثناء من لا يجب عليه الجهاد كالمرأة ونحوها ، كما ذكرنا ذلك في كتاب : «الجهاد»[١٢٠]، وذكرنا في كتب أخرى حرّيّة الناس في كلّ شيء باستثناء المحرّمات ، فإنّ للناس حريّتهم في مزاولة شؤون الحياة ، والحركة كيف

[١٢٠] ـ للمزيد من التفصيل راجع موسوعة الفقه : «ج٤٧ . ٤٨ » .

يشاؤون ، ومتى يشاؤون ، وأنّى يشاؤون .

أمّا الحكومة فليس لها إلاّ شيئان وظّفت من أجلهما :

الأوّل : الإشراف على إجراء وتنفيذ العدالة بين الناس .

الثاني : دفع الأمّة نحو الأمام والتقدّم والرّقي .

وقد طبق النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» هذه البساطة في الحكم ، حيث نصب شاباً حاكماً على مكّة المكرّمة من دون معاون أو حماية أو ما أشبه ، رغم أنّ مكّة كانت هي العاصمة الرئيسيّة المعاديّة بل المعارضة والمحاربة للنبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» طوال أكثر من عشرين عاماً.

كما أرسل سلمان المحمدي إلى المدائن «العاصمة الفارسية» ، وأرسل إلى الكوفة رجلين فقط ، وما إلى ذلك من الأمثلة .

وقد رأيت بنفسي بقايا هذه البساطة موجودة في العراق قبل خمسين عاماً[١٢١] .

ونتيجة لهذه البساطة في الحكم والإدارة الإسلاميّة ، أقبل الناس على الإسلام زرافات ووحداناً واعتنقوه برحابة وشوق ، وعندما ترك المسلمون تلك الميزة والنعمة الإلهيّة ، تخلّى الناس عن الإسلام وتوجّهوا نحو دول أخرى وأنظمة أخرى تحمل بعض تلك الأنواع من الإدارة الإسلاميّة وبساطتها ، والآن في الهند ترى شيئاً من ذلك ، فهذا الكابوس الذي يسمّى بالحكومة في بلاد الإسلام ليس منه في الهند إلاّ بعض الشيء .

ولم تكتف أنظمتنا بالتعقيد فقط ، بل أضافت إلى ثقل الإدارة الاستبداد والجهل والغرور والأنانيّة والدجل وتكديس الأموال لمصالحها الخاصّة ، وهذا ما أثار حالة استياء واسعة في أوساط المسلمين الذين التحقوا بركب الحضارة الغربيّة بحثاً عن فتات الخبز وفتات الحرّيّة !

ولا علاج لمأساة المسلمين إلاّ بالرجوع إلى الإسلام الواقعي الذي ذكر في

---

[١٢١] _ ذكرها الإمام المؤلف في كتاب «بقايا حضارة الإسلام كما رأيت»وكتاب «حياتنا قبل نصف قرن» .

الكتاب والسنّة .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: (**خَيرُ الأمورِ أوسطُها**)[١٢٢].

قال الإمام علي عليه السلام : (**التدبيرُ قبل العمل يؤمّنُكَ من النَدَم**)[١٢٣].

قال الإمام الحسن عليه السلام : (**والعجلة سفهٌ والسفهُ ضعفٌ**)[١٢٤].

قال الإمام الباقر عليه السلام (**في شرح قوله تعالى : ﴿ليس البرِّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ يعني أن يأتي الأمور من وجهها ، أيّ الأمور كان**)[١٢٥].

عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (**قال رسول الله** «صلى الله عليه وآله وسلم» : **يا أيّها الناس : أقيمُوا صفُوفكم وامسحُوا بمناكِبكُم لئلاّ يكون بينكم خللٌ . ولا تَخالفُوا فيخالف الله بين قلوبكم . ألا وإنّي أراكم من خلق**)[١٢٦].

قال الإمام الرضا عليه السلام : (**من طلب الأمر من وجهه لم يزل فإن زل لم تخذله الحيلة**)[١٢٧].

قال الإمام الجواد عليه السلام : (**من لم يعرف الموارد أعيته المصادر**)[١٢٨].

من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فوائد الإدارة : (**أدلُّ شيءٍ على غزارة العقل حُسنُ التدبير**)[١٢٩] .

(**صلاح العيش التدبير**)[١٣٠].

---

[١٢٢]_ بحار الأنوار : ج٦٩ ص٦٠ ح٣ ب٩٥ .

[١٢٣]_ تحف العقول : ص٧٠ .

[١٢٤]_ كشف الغمّة : ج٢ ص٣٠ .

[١٢٥]_ تفسير العيّاشي : ج١ ص٨٥ .

[١٢٦]_ وسائل الشيعة : ج٥ ص٤٧٢ .

[١٢٧]_ الدرّة الباهرة : ص٣٨ .

[١٢٨]_ الدرّة الباهرة : ص ٤٠ .

[١٢٩]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٠]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

(طولُ التفكير يصلحُ عواقبَ التدبير)[١٣١].

(قِوامُ العيش حسنُ التقدير وملاكُه حسنُ التدبير)[١٣٢].

(سبب التدمير سوءُ التدبير)[١٣٣].

(حسن التدبير ينميّ قليل المال وسوء التدبير يفني الكثرة)[١٣٤] .

(لا عقل كالتدبير)[١٣٥] .

(لا فقر مع حسن التدبير)[١٣٦] .

(آفة المعاش سوء التدبير)[١٣٧] .

(سوء التدبير مفتاح الفقر)[١٣٨] .

(من ساء تدبيره تعجّل تدميره)[١٣٩] .

(من ساء تدبيره كان هلاكه في تدبيره)[١٤٠] .

(يستدل على الأدبار بأربع سوء التدبير وقبح التبذير وقلّة الاعتبار وكثرة الاعتذار)[١٤١] .

---

[١٣١]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٢]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٣]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٤]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٥]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٦]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٧]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٨]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٣٩]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٤٠]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

[١٤١]_ غرر الحكم : ص٣٥٤ .

الجيش

كان الجيش في الإسلام يتمتّع بميّزتين ممّا سبّب حبّ الناس للإسلام :

الأولى : إنّ الجيش إسلاميّ وليس حكومياً ، وإذا افترضنا أن ليس بالإمكان أن يكون الجيش جماهيرياً نظراً لتطوّر النظام العسكري والأسلحة الحديثة إلاّ أنّه يمكن الجمع بين الأمرين ـ الشعبي والحكومي ـ ، بأنّ نوظّف جماعة من الناس للتدريب على الأسلحة المتطوّرة والمعقّدة ، وأن نترك الميدان عامّة لتدريب الجيش الشعبي .

أمّا الخدمة العسكريّة الإجبارية أو التعويض «دفع بدل» ممّن لا يريد ، أو لا يتمكّن من أداء الخدمة الإجباريّة ، فهو يعدّ من أكبر المنفرّات عن الإسلام ، إذ قد جُعل الجيش بذلك وسيلة لتحقيق المصالح الشخصيّة ، ونزوات وأطماع الحكّام المستبدّين .

الثانية : كان الجيش يضطلع بمهمّة حماية الحرّيات وحماية المجتمع وحركة الأمّة نحو الأفضل .

ولذلك فقد كان المسلمون أحراراً في كلّ شيء ما عدا المحرّمات ، وكانوا دائمي التقدّم إلى الأمام في مختلف ميادين الحياة ، وكان الجيش حارساً لهذين الأمرين ، ولذا التفّ الناس حول الإسلام .

أمّا اليوم فإنّ الجيش يوظّف غالباً للاعتداء وكبت الحرّيات والحيلولة بين الأمّة وبين التقدّم ، ومن نظر إلى الجيش في عهد بهلوي الأوّل والجيش في عهد حكومة البعث في العراق يرى ذلك جليّاً .

لقد أضحى الجيش بسبب تلك الحكومات العميلة خادماً للأجنبيّ ووسيلة

لضرب المواطنين العزّل بمختلف أنواع الأسلحة ، ولم نجد وللأسف الجيش في هاتين الفترتين ، في هذين البلدين ـ كنموذج ـ يدافع عن البلاد حتّى مرّة واحدة ، وإنّما دافع عن الأجانب في مواجهة أبناء بلده مرّات عديدة بشكل أو بآخر .

كما أنّ كلّ الكبت والإرهاب والجهل والتأخّر الذي سبّبته الحكومات العميلة كان أساساً بمساعدة الجيش ، وهناك قصص مذكورة في تاريخ البلدين .

بينما نرى الجيش الغربي على العكس من ذلك كلّه ، فهو بالنسبة لبلادهم آلة التقدّم ، ووسيلة لحفظ المقدار المتوفّر عندهم من الحرّيات. طبعاً غير خاف على المراقب ما هناك من الفرق الكبير بين الجيش الغربي اليوم والجيش الإسلامي في الأمس ، وما كان يتمتّع به الجيش الإسلامي من امتيازات ، وما قد اشتمل عليه الجيش الغربي من نواقص وأمراض وما يردُ عليه من مؤاخذات .

فاللازم أن يرجع الجيش في بلاد الإسلام إسلامياً ، وذلك لا يتحقّق إلاّ بتطبيق المنهج الإسلامي بحذافيره ، والذي منه : الاستشارية والتعدّدية حتّى يرجع الجيش إلى حالته الصحيحة ، ويعمل بوظائفه الواقعيّة .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**فالجنود بإذن الله حُصونُ الرعيّة، وزينُ الولاة وعزّ الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعيّة إلاّ بهم، ثمّ لا قِوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوّهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلهم ويكون من وراء حاجتهم**)[١٤٢].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**الجنود عزّ الدّين وحصون الولاة**)[١٤٣].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (**إنّ النبي** «صلى الله عليه وآله وسلم» **بعث سريّة فلمّا رجعوا قال : مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد**

---

[١٤٢] ـ تحف العقول : ص١٣١ .

[١٤٣] ـ تصنيف غرر الحكم : ص٣٣٣ .

النَّفس)[١٤٤].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(من خذل جُندَهُ نصر أضداده)**[١٤٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(آفة الجُند مخالفة القادة)**[١٤٦].

قال الإمام الصادق عليه السلام : **(إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسوله بالإسلام إلى النّاس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتّى أمره بالقتال، فالخير في السيف وتحت السيف والأمرُ يعود كما بدا)**[١٤٧].

---

[١٤٤] _ وسائل الشيعة : ج١١ ص١٢٢ .

[١٤٥] _ تصنيف غرر الحكم : ص٣٣٣ .

[١٤٦] _ تصنيف غرر الحكم : ص٣٣٣ .

[١٤٧] . وسائل الشيعة : ج١١ ص٩ .

الاكتفاء الذاتي

اعتمد الإسلام على «الاكتفاء الذاتي» في توفير كلّ ما يحتاجه الناس ، وحضّ المسلمين عليه ، وحذّرهم من الاعتماد على الآخرين وخاصّة الأجانب ، وفي التأريخ الإسلامي إنّ الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» دخل دار أم أيمن ، فقال :

(مالي لا أرى في بيتك البركة ؟)

فقالت : أوليس في بيتي البركة ؟

قال : **(لست أعني لك ذاك شاة تتخذيها تستغني ولدك من لبنها وتطعمين من سمنها وتصلين في مربضها)**[١٤٨].

وفي حديث آخر : أنّه «صلى الله عليه وآله وسلم» قال : **(إذا كان في الدار شاة واحدة صلّت الملائكة على أهل تلك الدار كلّ يوم مرّة، وإذا كانت شاتان صلّت الملائكة عليهم كلّ يوم مرتين ، وإذا كانت ثلاث شياه صلّت الملائكة عليهم كلّ يوم ثلاث مرّات)**.

وقال : **(لو كان في يد أحدكم فسيله وقامت القيامة فليغرسها وليمت)**[١٤٩]، إلى غير ذلك .

وقد ذكرنا جملة منها في : «الفقه : آداب المال»[١٥٠].

وإنّي أذكر إبّان الحرب العالميّة الثانية : إنّه لم يدخل في العراق تحت التموين إلاّ

---

[١٤٨]_ المحاسن : ص٦٤١ .

[١٤٩]_ مستدرك الوسائل : ج١٣ ص٤٦٠ .

[١٥٠]_ موسوعة الفقه: مخطوط، وكذا تطرق الإمام المؤلّف إلى ذلك في كتابه «الفقه: طريق النجاة» .

القماش والسُكر الأبيض ، حيث أنّهما كانا يؤمّنان من الخارج ، فلم نكن نحتاج في شؤوننا المنزليّة إلاّ إليهما فقط ، وإلاّ فكلّ شيء كان يصنع وينتج في داخل العراق .

أمّا اليوم فالعراق يحتاج إلى كلّ شيء حتّى التبن !! وذلك على أثر ما دمّره حكّام البعث من ثروات العراق الطبيعيّة ، كما أنّه في إيران رَدَمَ البهلوي الأوّل «٣٢ ألف» قناة حتّى يحتاج الناس إلى الغرب ، ولذا ورد في التاريخ أنّ الأراضي بين طهران ومشهد كانت تضم «١٢ ألف» نهراً ، تمتدّ هذه الأنهار من مقاطعة خراسان إلى أفغانستان[١٥١] وتضم طهران ونواحي مازندران ، وتزوّد هذه المناطق بالمياه فتجعل منها مزارع جميلة وقرى أنيقة مزوّدة بمختلف المحاصيل الزراعية واللحوم .

ولكن بعد سيطرة الحكّام الظالمين ـ المرتبطين بالحكومات الغربية ـ وتسلّطهم على رقاب المسلمين ، أصاب الفقر كلّ شيء فصارت بلادنا أسواقاً لمنتوجات الغرب والشرق تحت ألف اسم واسم وألف قانون وقانون .

ومن يخالف هذه القوانين الوضيعة يحاكم ، تارة باسم مجلس الأمّة، وأخرى باسم مجلس الوزراء ، وثالثة باسم مجلس قيادة الثورة ، ثمّ يودع السجن ، ويمارس بحقّه أشدّ أنواع التعذيب ، وتصادر أمواله ويتّهم بأخسّ التهم ، وأخيراً يكون مصيره الإعدام .

وقد ذكرت بعض الصحف : أنّ البلد الفلاني يستورد من الخارج مائتي ألف نوع من البضائع والأجناس ابتداءً من اللحم وانتهاءً إلى الطائرة .

ولا يخفى أنّ من أسباب تخلّف المسلمين هذا التخلّف الذريع عدم اهتمامهم بقانون «الاكتفاء الذاتي» ، وعندما اعتمد الغربيون في توفير حاجاتهم على أنفسهم ، وطبّقوا قانون الاكتفاء الذاتي في بلادهم ، تقدّموا على المسلمين ، وصاروا

---

[١٥١] ـ كانت إيران وأفغانستان دولة واحدة .

أمراءهم ، وأضحى المسلمون أسراءهم ، ومادامت بلاد الإسلام محتاجة إلى الغرب ستظلّ أسيرة تابعة ، ولقد قال علي عليه السلام : **(احتج إلى من شئت وكن أسيره)**[١٥٢] .

روي إنّ حواري عيسى عليه السلام : **(كانوا إذا جاعوا قالوا : يا روح الله جعنا ، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكلّ إنسان منهم رغيفين يأكلهما ، فإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا ، فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماءً فيشربون ، قالوا : يا روح الله من أفضل منّا ؟ إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا سقيتنا ، وقد آمنّا بك واتبعناك ! قال : أفضل منكم من يعمل بيده ، ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء)**[١٥٣] .

(أوحى الله عزّ وجل إلى داود عليه السلام إنّك نِعمَ العبدُ لولا أنّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً فأوحى الله عزّ وجل إلى الحديد : أن لِن لعبدي داود ، فألان الله عزّ وجل له الحديد فكان يعمل في كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ... واستغنى عن بيت المال)[١٥٤] .

مرّ داود عليه السلام باسكافٍ فقال : **(يا هذا اعمل وكل ، فإنّ الله يحبّ من يعمل ويأكل ، ولا يحبّ من يأكل ولا يعمل)**[١٥٥] .

---

[١٥٢] _ غرر الحكم : ص٣٦٧ .

[١٥٣] _ بحار الأنوار : ج١٤ ص٢٧٦ ح٧ ب٢٠ .

[١٥٤] _ تفسير نور الثقلين : ج٣ ص٤٤٦ .

[١٥٥] _ تنبيه الخواطر : ص٣٥ .

البساطة

إنّ من أهمّ ما جمع الناس حول الإسلام وحبّبه في نفوسهم البساطة في العيش ، فالإسلام ضدّ التعقيد ، ويدعو إلى البساطة في المأكل والمشرب ، والمسكن ، والمنكح ، وفي شؤون الحكم أيضاً ، لأنّ التكلّف ثقل على الإنسان ، ولذا قال القرآن الحكيم : ﴿**وما أنا من المتكلّفين**﴾[١٥٦]، وقال سبحانه : ﴿**يريدُ اللهُ بكمُ اليسرَ ولا يريدُ بكمُ العُسرَ ...**﴾[١٥٧] إلى غير ذلك .

إنّ التعقيد يسبّب بالإضافة إلى ثقل الحياة، صرف الأوقات اعتباطاً وبلا طائل ، كما ينتج الطبقيّة في المجتمع ، ففقر مدقع في جانب ، وبذخ مرهق في جانب آخر ، كما هو المشاهد في عالم اليوم .

فنصف البشرية اليوم كما تشير بعض الإحصاءات تعيش في فقر ، وتفتقر لأبسط مستلزمات الحياة ، فترى الفساد والمرض والجهل والتخلّف والبطالة ، وما أشبه ذلك، تضرب كالإعصار في جسم المجتمع ، وإلى جانبها الأسراف والبذخ ، والزخارف والمباهج .

وقد شاهدت بعيني في إحدى الدول الإسلاميّة بنايات تناطح السحاب ، وإلى جانبها بيوت طينيّة تلاصق الأرض ، وحيث تتوفّر في الأبنيّة كلّ وسائل الحياة وإمكانات البذخ والإسراف ، لا تجد في بيوت الطين أهمّ الضروريّات المعيشية .

وقد قال علي عليه السلام : (**ما رأيتُ نعمةً موفورة إلاّ وإلى جانبها حقٌ مضيّعٌ**).

---

[١٥٦]_ سورة ص : الآية ٨٦ .

[١٥٧]_ سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

فهذا البعد الشاسع بين هذين النموذجين لم يكن إلاّ لأسباب من جملتها عدم البساطة في العيش .

والدين الإسلامي الحنيف لم يؤكّد على البساطة في جانب واحد فقط ، بل قد عمّم البساطة في جميع جوانب الحياة ، وقد كان الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» : ينام على الحصير حتّى يطبع أثره على صفحات خدّه المبارك ، وكان علي عليه السلام ينام على التراب حتّى سمّي بأبي تراب ، وقد كان فرشه عليه السلام والزهراء (عليها السلام) ـ سنين عديدة ـ جلد كبش ينامون عليه ليلاً ويعلفون إبلهم عليه نهاراً ، إلى غير ذلك من القصص الكثيرة التي ملأت صفحات التاريخ .

والأهمّ من كلّ ذلك : أنّ الإسلام أوصى ببساطة الحكم واعتبره الشرط الموضوعي في سلامة الحكم والقيادة ، قال الإمام علي عليه السلام : (**أ أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات**)[158]، كما أمر القضاة بالبساطة لئلا يخاف الناس وتختفي الحقائق، ولذا كان كلّ واحد يصل إلى الحاكم والقاضي بكلّ سهولة، وقد قال الإمام علي عليه السلام لشريح القاضي : (**يا شريح اجلس في المسجد فإنّه أعدل بين الناس**)[159].

ويحدثنا التاريخ أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو يرتجف ، فقال له الرسول : (**مه لماذا تخاف ؟ فإنّي ابن امرأة ، كانت تأكلُ القديد في مكّة**) .

فمن أسباب ابتعاد الناس اليوم عن الإسلام تحوّل المسلمين من البساطة إلى التكلّف والتعقيد في العيش وفي كلّ مجالات الحياة ، ويوم عمّت موجة التعقيد شؤون المسلمين وحياتهم ، أفقدتهم عزّهم وسؤددهم ، وجعلتهم يضيعون في

---

[158] ـ بحار الأنوار : ج٣٣ ص٤٧٣ ح٦٨٦ ب٢٩ .

[159] ـ دعائم الإسلام : ج٢ ص٥٣٤ كتاب آداب القضاء .

متاهات الحضارة المادّية .

من حكمة سليمان عليه السلام :

(قد جرّبنا لين العيش وشدّته ، فوجدنا أهنأه أدناه)[١٦٠].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(أهنأ العيش إطراح الكُلف)**[١٦١].

عن جعفر بن محمّد عن أبيه (عليهما السلام) قال : قيل له ... فما بال المؤمن قد يكون أشحّ شيء ؟ قال : **(لأنّه يكسب الرزق من حلّه ومطلب الحلال عزيز فلا يحب أن يفارقه شيئه لما يعلم من عُسر مطلبه وإن هو سخت نفسه لم يضعه إلاّ في موضعه ...)**[١٦٢].

قال الإمام الباقر عليه السلام :

في قوله تعالى : ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ ، قال : **(الكفاف)**[١٦٣].

من وصيّة الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) :

(ولا تعدو أجلك فإنّك في سبيل من كان قبلك فخفّض في الطلب وأجمل في المكتسب ...)[١٦٤].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : **(من أصبح معافاً في جسده، آمنّا في شربه ، عنده قوت يومه ، فكأنّما حيزت له الدنيا ...)**[١٦٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(قليلٌ يكفي ، خيرٌ من كثير يطغي)**[١٦٦].

إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام اجتاز بسوق الكوفة فتعلّق به كرسي فتخرّق قميصه ، فأخذه بيده ، ثمّ جاء به إلى الخيّاطين فقال : **(خيطوا لي ذا بارك الله**

---

[١٦٠] _ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٣ ص١٥٩ ب٤٥ .

[١٦١] _ تصنيف غرر الحكم : ص٤٧٨ .

[١٦٢] _ علل الشرائع : ص٥٥٧ .

[١٦٣] _ تفسير العيّاشي : ج١ ص١٠٦ .

[١٦٤] _ بحار الأنوار : ج٧٤ ص٢٠٨ ح١ ب٨ .

[١٦٥] _ أمالي الطوسي : ج٢ ص٤٢ .

[١٦٦] _ تصنيف غرر الحكم : ص٣٦٦ .

فيكم)[١٦٧].

عن ابن عبّاس قال : (**كان رسول الله** «صلى الله عليه وآله وسلم» **يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ، ويجيب دعوة المملوك)**[١٦٨].

(ربّ يسير أنمى من كثير)[١٦٩].

(قليل ينجي خير من كثير يردي)[١٧٠].

(يسير الدنيا خير من كثيرها وبلغتها أجدر من هلكتها)[١٧١].

(ربّ فقير أغنى من كلّ غني)[١٧٢].

(كم من منقوص رابح ومزيد خاسر)[١٧٣].

---

[١٦٧]_ المناقب : ج٢ ص٩٦ .

[١٦٨]_ مكارم الأخلاق : ص١٦ .

[١٦٩]_ غرر الحكم : ص٣٦٦ .

[١٧٠]_ غرر الحكم : ص٣٦٦ .

[١٧١]_ غرر الحكم : ص٣٦٦ .

[١٧٢]_ غرر الحكم : ص٣٦٦ .

[١٧٣]_ غرر الحكم : ص٣٦٦ .

الربا

لا ريب أنّ الإسلام وضع منهاجاً اقتصادياً سليماً ، ممّا سبب التفات الناس حوله ، ذلك لأنّ الاقتصاد يرتبط بحياة الناس ارتباطاً مباشراً حتّى ورد : (**إنّ الفقرَ سوادُ الوجه في الدارين**)[١٧٤].

وكان من سلامة الاقتصاد الإسلامي تحريم الربا ، لأنّ الربا يزيد الأغنياء غنىً والفقراء فقراً وفاقة[١٧٥]، ولذلك لم يكتف الإسلام بمجرّد تحريمه ، وإنّما بالغ في تحريمه وهدد الذين يتعاطونه ، حيث قال :

﴿**فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله**﴾[١٧٦] كما أنّه بالمقابل أكدّ على القرض ورغّب في تعاطيه حيث قال : ﴿**من ذا الذّي يقرضُ الله قرضاً حسناً ...**﴾[١٧٧] ، إلى غيرها من عشرات الآيات والأحاديث ، التي تؤكّد على ذلك .

لكنّ المسلمين أعرضوا عن اقتصادهم الذي أتحفهم الإسلام به ، وراحوا يقلّدون الغرب ، ويتعاطون الربا أضعافاً مضاعفة ، حتّى تحطمت اقتصاديات الدول الإسلاميّة ، وأصاب الفقر كلّ مرافقها في حين أنّها أثرى بلاد العالم وأغناها .

وكنموذج على ذلك نشير إلى ما جاء في بعض التقارير : من أنّ بعض دول الخليج أصبحت مدينة من جراء الحرب العراقيّة ـ الإيرانيّة، والحرب العراقيّة ـ الكويتيّة ، مبلغاً يقرب من تسعين مليار دولار ، بفائدة قدرها خمسة عشر مليار دولار ،

---

[١٧٤]_ سفينة البحار : ج٢ ص١٧٨ .

[١٧٥]_ لقد فصل الإمام المؤلّف الحديث عن هذا المطلب في كتابه: «الفقه : الاقتصاد» .

[١٧٦]_ سورة البقرة : الآية ٢٧٩ .

[١٧٧]_ سورة البقرة : الآية ٢٤٥ .

فإذا كانت نفوس الدول الخليجيّة عشرين مليون نسمة ، ترى كم يكون نصيب كلّ واحد منهم من الدَّين ، وكم يحمل على عاتقه من تبعات فائضة ؟

وقد ذكرنا تفصيل الكلام حول ما يتمخّض عن الربا من المآسي في كتاب : «الفقه : التجارة»[١٧٨] ، و«الفقه : الاقتصاد»[١٧٩] ، وذكرنا هناك : أنّ حرمة الربا مؤكّدة عقلياً قبل أن تكون مؤكّدة شرعياً ، وإنّ الربا أحد الأسباب المهمّة في إشعال فتيل الحرب بين الدول وإبادة بعض الأمم .

وقد جعل الإسلام ـ والعقلاء ـ بدل التعاطي بالربا ، قانون «المضاربة» شريطة أن تطبّق المضاربة عملاً لا اسماً وصورةً ـ كما في بعض بلاد الإسلام ـ فالمضاربة تعني : أن يحصل العامل على أتعابه كما يحصل المالك على أرباح رؤوس أمواله «الذي هو عمل متبلور»[١٨٠] .

وإذا أراد المسلمون الخروج من هذا المأزق ، فعليهم أن يحرّموا الربا أشدّ تحريم ـ كما فعله القرآن ـ وأن يروّجوا القرض والمضاربة ، واللازم أن تكون المضاربة غير مجحفة أيضاً .

وحينئذٍ يكونوا قد أقاموا لبنة أخرى في بناء صرح الإسلام المنقِذ .

لكن المسلمون اليوم متورطّون في أوحال الرّبا ومبتلون بتبعاته وويلاته ، ولا خلاص لهم منها إلاّ بإلغائه وتحريمه بالمرّة .

كما أنّ العالم إذا أراد النجاة من الفقر ، ومن تبعاته المزرية من فساد ومرض وجهل وبساطة وما أشبه فإنّه يلزم عليه ما يلي :

أولاً : إلغاء الرّبا من قوانينه وتحريمه تحريماً باتاً ، فإنّ إلغاء الربا من القوانين ـ وإن لم يكن الوسيلة الوحيدة لصحة الاقتصاد ـ لكنه من أسبابه الرئيسية .

---

[١٧٨] ـ الفقه : التجارة .

[١٧٩] ـ موسوعة الفقه : ج١٠٧ . ١٠٨ .

[١٨٠] ـ تطرق الإمام المؤلّف إلى الحديث عن ذلك في كتابه القيّم «الفقه : الاقتصاد» ، وأشار إليه في العديد من كتبه الأخرى مثل «الاقتصاد الإسلامي المقارن» .

ولا يخفى أنّ هناك جملة من الأسباب المؤدّية إلى تلك المفاسد، مثل: الرأسمالية المنحرفة التي تبيح تعاطي كلّ إثم ومنكر في سبيل المادة، كالاتجار بالمخدّرات والخمور ، وفتح دور البغاء والشذوذ الجنسي، وكإعطاء العمال والفلاحين أقل من حقوقهم المشروعة ، فإنّهم وإن ارتضوا تلك الأجور الزهيدة ، إلاّ أن ذلك من باب الاضطرار والإكراه الفردي أو الأجوائي أو الجهل .

ومثل الاستعمار الظاهر أو الخفي المتستّر في أثواب القوميّة والشيوعيّة والوطنّية ، وما أشبه .

ثانياً : إلغاء تجارة الأسلحة والتي تسبّب إشعال الحروب المدمّرة ، والتي لا هدف من ورائها سوى قتل الإنسان والقضاء عليه .

نعم إنّ الاقتصاد والسياسة والاجتماع إذا خرجت عن مسارها السليم ، أنتجت عنها كوارث مدمّرة منها : الفقر والمرض والجهل والفوضى.

ومن الممكن : وضع مخطّط لإلغاء الرّبا على الصعيد العالمي تدريجياً عبر تحديد جدول زمني ، وذلك حسب قانون «الأهم والمهم» ، فيما إذا كان الإلغاء «الدفعي» يسبّب هزة كبيرة ومضاعفات خطيرة .

كما أنّه من الممكن إلغاء سائر المفاسد بالإيجابيات، وطرح البدائل، والجدولة ، وعلى سبيل المثال : ذكرت الصحف أنّ في البلد «الفلاني» مائة ألف امرأة بغيّة ، فمن الممكن للدولة أن تشجّع الشباب للزواج بهنّ ـ بعد إصلاحهن والتأكّد من عدم إصابتهنّ بالأمراض الجنسيّة الخطيرة ـ وأن تخصّص الدولة لهؤلاء الشباب خدمات ومكافآت وهدايا تشجيعيّة ، كمنحهم المسكن والعمل وبعض الخدمات الحيوية ، وبذلك يمكن إصلاح المجتمع بإنقاذهنّ من هذه الموبقة .

ومثل هذا المثال يطبّق في معالجة سائر المحرّمات الاجتماعيّة، للتخلّص منها والقضاء عليها نهائياً ، والله سبحانه المستعان .

عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**إنّه رأى ليلة أسري به رجالاً**

بطونهم كالبيت الضخم وهم على سابلة آل فرعون فإذا أحسّوا بهم قاموا ليعتزلوا عن طريقهم فمال بكلّ واحد منهم بطنه فيسقط حتى يطأهم آل فرعون مقبلين ومدبرين فقلت لجبرائيل : من هؤلاء ؟ قال آكلة الربا)[١٨١].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(معاشر الناس : الفقه ثمّ المتجر الفقه ثم المتجر ، والله الربا في هذا الدنيا أخفى من دبيب النمل على الصفا)**[١٨٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام : **(ثلاثة في حرز الله عزّ وجل إلى أن يفرغ الله من الحساب : رجلٌ لم يهمّ بزنا قط ورجل لم يشب ماله بربا قط ، ورجل لم يسع فيهما قط)**[١٨٣].

قال الإمام الرضا عليه السلام :

عن علّة تحريم الرّبا : **(إنّما نهى الله عزّ وجلّ عنه لما فيه من فساد الأموال لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلاً ، فبيع الربا وشراؤه وَكسٌ على كلّ حال على المشتري وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الرّبا لعلّة فساد الأموال ...)**[١٨٤].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلاّ أكل الرّبا فإن لم يأكله أصابه من غباره)[١٨٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(لمّا أنزل الله سبحانه قوله : ﴿ألم ۞ أحَسِب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾ علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله** «صلى الله عليه وآله وسلم» **بين أظهرنا، فقلت : يا رسول**

---

[١٨١]_ مستدرك الوسائل : ج٢ ص٤٧٨ .

[١٨٢]_ روضة الواعظين : ص٤٦٥ ، مجلس في ذكر الخمر والربى .

[١٨٣]_ بحار الأنوار : ج٧٦ ص٢٠ ح٨ ب٦٩ .

[١٨٤]_ بحار الأنوار : ج١٠٠ ص١١٩ ح٢٣ ب٥ .

[١٨٥]_ مستدرك الوسائل : ج٢ ص٤٧٨ .

الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها ، فقال يا علي إنّ أمّتي سيفتنون بعدي ، فقلت يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ ، فقلت لي أبشر فإنّ الشهادة من وراءك فقال لي أنّ ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذن ، فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال إنّ القوم سيفتنون بأموالهم ، ويمنّون بدينهم على ربّهم ويتمنّون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة ، والأهواء الساهية ، فيستحلّون الخمر بالنبيذ ، والسّحت بالهديّة ، والربا بالبيع ...)[١٨٦].

سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام : عن قول الله عزّ وجل : ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**﴾ وقد أرى من يأكل الربّا يربو ماله ؟

قال : (**فأي محق أمحق من درهم رباً يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر**)[١٨٧].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(**إذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الرّبا**)[١٨٨].

---

[١٨٦]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٩ ص٢٠٥ ، بحار الأنوار : ج٦٩ ص١٣٨ ، ح٢٦ ب١٠١٤ .

[١٨٧]_ تفسير نور الثقلين : ج١ ص٢٩٣ .

[١٨٨]_ وسائل الشيعة : ج١٢ ص٤٢٧ .

الثروة

المال قيامٌ للإنسان ، كما ورد في القرآن الكريم :﴿**ولا تُؤتُوا السُفهاءَ أموالكُمُ التي جعل اللهُ لكُم قياماً** ..﴾[١٨٩]، وفي الحديث : (**نِعمَ العونُ على الدِّين الغنى**)[١٩٠]، وفي الآية الكريمة : ﴿**ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء**﴾[١٩١].

ويوضّح لنا الحديث التالي خطورة وضرورة توجه الإنسان لمصادر أمواله ومواردها حيث قال : (**من أين اكتسبه وفيم أنفقه**)[١٩٢]، وتطبيق المسلمين لهذا المقياس دفع الناس للالتفاف حول المسلمين ، لأنّهم ـ باستثناء الخلفاء والأمراء المنحرفين ومن إليهم ـ طبّقوا مقاييس الإسلام في الثروة، فليس في الإسلام ما في الرأسمالية المنحرفة من الإسراف المرهق ، ولا الفقر المدقع ، وقد قال علي عليه السلام : (**ما رأيت نعمةً موفورةً إلاّ والى جانبها حقٌ مضيّع**) .

أمّا اليوم وبسبب تخلّي المسلمين عن التمسّك بالإسلام ، وتظاهر الغرب بشيء من مناهج الإسلام وقوانينه في الثروة ، مثل الصناديق الخيرية والمعونات والاقراض و(**دعوا الناس يرزق الله بعضهم لبعض**)[١٩٣]، وما أشبه ذلك ، دفع ذلك الناس إلى الابتعاد عن المسلمين والالتفاف حول الغرب .

نعم الغرب قد أخطأ في الرّبا ، والاحتكار ، والرأسماليّة المنحرفة، وتنافسه في

---

[١٨٩]_ سورة النساء : الآية ٥ .

[١٩٠]_ جامع السعادات وفي وسائل الشيعة : ج١٢ ص٤٩ «نعم العون على تقوى الله الغنى» .

[١٩١]_ سورة المائدة : الآية ٥٤ .

[١٩٢]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢٠ ص٢٥٩ الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين، بحار الأنوار : ج٧٤ ص١٦٢ ح١ ب٧ ، ج٧٧ ص١٦٢ ح١ ب٧ .

[١٩٣]_ نهج الفصاحة : ص٣٢٩ .

الاستعمار المقارن لهباته وقروضه ، إلى غير ذلك ، فإنّ هذه واحدة من أهمّ الأسباب التي قادت العالم إلى الاستعمار والحروب والأزمات الإنسانية الشديدة وعلى أيّ : فالمطلوب عدم احتكار الثروة، كما تصنعه الشيوعيّة والاشتراكية بتركيز ثروات البلاد في الحكومة والحاكم ، وكما تصنعه الرأسماليّة بتركيز الثروات في كبار الرأسماليين بألف خطّة وخطّة ، كما أنّ المطلوب إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه ، فلا إفراط ولا تفريط ، ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً**﴾[١٩٤]، (**وخير الأمور أوسطها**)[١٩٥]، و﴿**أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُبل فتفرّق بكُم عن سبيله**﴾[١٩٦].

وهذا بحاجة إلى أمرين :

الأوّل : وضع القوانين العادلة المطابقة للإسلام ـ لا بالشعارات ـ ترسم تلك القوانين حدود المكسب والمصرف ، وتعيّن مواردها المشرعة.

الثاني : التربية الصحيحة التي من شأنها أن تحول دون استبداد فئة قليلة بالمال عن طريق الاحتيال والخدعة ، على حساب الآخرين .

والظاهر أنّ الاستقامة والاعتدال في الثروة، لا يكون من دون وجود الأحزاب الحرّة المتنافسة ، وشورى المرجعيّة، وإلاّ فالقانون يوضع ويطبق ـ حتّى في الصحيح منه ـ منحرفاً .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(أمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدّم الفضل ليوم حاجتك)[١٩٧].

قال الإمام السجّاد عليه السلام :

---

[١٩٤] ـ سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

[١٩٥] ـ الكافي (فروع) : ج٦ ص٥٤٠ ح١٨.

[١٩٦] ـ سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

[١٩٧] ـ نهج البلاغة : محمّد عبده : ج٣ ص٢٣ .

(أنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار)[١٩٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(يقول ابن آدم : مالي مالي ، هل لك من مالك إلاّ ما تصدّقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت)[١٩٩].

قال الإمام علي عليه السلام :

(أفضل المال ما قضيت به الحقوق)[٢٠٠].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(ليس من شيعتنا من مَلَكَ عشرة آلاف درهم إلاّ من أعطى يميناً وشمالاً وقدّام وخلف)[٢٠١].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(المسلم أخو المسلم ، وحقّ المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ، ولا يكتسي ويعرى أخوه فما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم)[٢٠٢].

---

[١٩٨]_ تحف العقول : ص٢٨٢ .

[١٩٩]_ تنبيه الخواطر : ص١٢٧ .

[٢٠٠]_ غرر الحكم : ص٣٦٧ .

[٢٠١]_ مشكاة الأنوار : ص٢٧٤ .

[٢٠٢]_ سفينة البحار : ج١ ص١٣ .

المجانية

في الإسلام كلّ شيء مجانيّ فالأرض والماء والصيد ، وما أشبه ، حتّى أنّ عليّاً «عليه الصلاة والسلام» أمر ببناء دكاكين في الكوفة وأعطاها للناس مجاناً ، وكان ذلك سبباً في انخفاض الأسعار ، والازدهار الاقتصادي ، لأنّ الكاسب إذا أعطى أجرة أو ثمناً مقابل المحل ، رفع أسعار بضائعه بقدرها لكي يعوّض ما ينفقه للأجرة ، وبذلك يقع ثقل الأمر على الناس .

فكان ما فعله عليه السلام من دواعي الرضى عند الناس ، ولهذه الأمور وأشباهها التفّ الناس حول الدين الإسلامي ، وتقدّم المسلمون ذلك التّقدّم الهائل .

أما اليوم فإنّ بلاد المسلمين تعمل بعكس ذلك ، فالدكّان لا يخضع للإيجار فقط بل تفرض عليه ضرائب قاسية أيضاً .

ومن المعلوم أنّ من يدفعها بحسب الأرباح المضاربية وكثيراً ما الربويّة ، يضيفها على أسعار البضائع ممّا يسبّب غلاءاً مضاعفاً في الأسواق .

وكذلك صار كلّ شيء بثمن وأجرة وضريبة، فبناء الدار وترميمها ، وفتح المحلاّت التجارية ، وبناء المصانع وتربية الدواجن ، وكذا السفر والإقامة والعمارة والزراعة والصناعة والثقافة والنقل والانتقال والإرث ، وألف شيء وشيء ، كلّها أمور تفرض عليها ضرائب ورسوم وجمارك ، فلم يبق إلاّ أن تحوز الدولة الهواء لتبيعه على الناس ! أو أن تفرض الضرائب على من يستظل بشجرة ، أو من يستفيد من أشعة الشمس وحبّات المطر ، أو أن تفرض الضرائب على من يتزوّج أو ينجب أطفالاً ، وألف شيء وشيء .

ومن يضمن عدم قيامها بذلك في المستقبل ، لو استمرت الأوضاع والمخطّطات

الماكرة على ما هي عليه في عالمنا المعاصر ؟

وبعد كلّ هذا وذاك ، فهل يا ترى يوجد من يرغب في الإسلام ويدافع عنه ؟

كلاّ .. إنّ هذه القيود كانت من أهمّ أسباب ابتعاد الناس عن الإسلام .

إنّ طبيعة المجتمعات السعي الحثيث وراء العدالة ، فإذا وجدوها ، أو تصورّوا أنّها في جانب التفوا حولها ، لكن إذا اكتشفوا أنّ هذا التصوّر كان خيالاً ـ ولو بعد حين ـ انفضّوا عنها ، كما حصل للمبادئ الأربعة ـ الشيوعيّة والبعثيّة والقوميّة والوجوديّة ـ حيث زعموا أنها منقذاً أوّلاً ثمّ علموا إنّها زيف وكذب ، ولذا ابتعدوا عنها، وتذمّروا منها ، وأعلنوا سخطهم عليها وعلى مؤسسيها ومبتدعيها .

ثمّ إنّ الغرب وإن كان مخطئاً ومجحفاً في ضرائبه ، لكن ثمة فرقين بين بلاده وبلاد الإسلام :

الأوّل : إنّ الضرائب تجمع في الغرب بقوانين وضعها مسؤولون انتخبهم الناس ـ ولو في الجملة ـ وهؤلاء الوكلاء يضعون تلك القوانين حسب ما يرونه من المصلحة عادة ، وليس كبلاد المسلمين حيث الناس بمعزل عن الحكم ، وإنّما يستبدّ به قليل من الذين سيطروا على مقاليد الحكم بقوّة السلاح لا بآراء الأكثرية ، ولذا فإنّ مصالح الشعب آخر ما يراعيها بعض الحكّام في بلادنا .

الثاني : إنّ شعوب الغرب ترى أنّ الحكّام يأتون بأمرها ويذهبون بأمرها ، إضافة إلى وجود رقابة صارمة من الأحزاب المنافسة الأخرى، ومحاسبة دقيقة من الصحافة للحكّام .

وبالتالي فلا يستطيع أن يتصرّف هؤلاء بأموال الشعب وينهبوا منها دون حدود ، فدورهم لا يتعدّى حجم الموظّف البسيط .

فالرئيس الذي يصل إلى الرئاسة مثلاً لا يملك أن يسرق دون حدود ـ كما يحدث في بلاد الديكتاتوريين ـ ، وإلاّ فإنّ الصحافة الحرّة والأحزاب الأخرى تلاحقه وتفضحه ، وتحرّض الرأي العام عليه .

فالمجتمع الغربي يطمئن لحكّامه ـ عادة ـ بينما المسلمون يكرهون حكّامهم ويسعون جاهدين لإسقاطهم .

وهذه الثقة في شعوبهم ، وفقدانها من شعوبنا ناشئة من شكل الحكم ومنهجيته السياسية ... .

ولذا تقدّم الغربيّون فوصلوا إلى القمر ، بينما يتأخّر المسلمون بل يعجزون أحياناً عن صناعة ابرة الخياطة أو صابون الغسيل أو حلويّات الأطفال .

والمسلمون كثيراً ما يتركون بلادهم ويتوجّهون إلى الغرب لطلب اللجوء للعيش هناك ، بعيداً عن ملاحقة رجال المخابرات ، وفراراً من التخلّف الذي أصابهم ، معلنين عجزهم عن حلّ أزمتهم بسبب أوضاعهم ، وقد ورد عن علي عليه السلام :

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك ولا تبصر[٢٠٣]

فصار حالهم كما يقول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرّمضاء بالنار

وهكذا أصبح حال بعض المسلمين اليوم أنهم لا يلدغون من جحر مرتين فحسب ، بل ألف مرّة ومرّة .

نعم في الإسلام ضرائب أربع فقط ، في حدود معقولة جدّاً ومصارف مقرّرة بدقّة حدّدها إله حكيم ، وأوكل أمر التنفيذ ـ في زمان غيبة الإمام المعصوم عليه السلام ـ إلى الفقهاء العدول الذين ارتضتهم أكثريّة الأمّة إذا كانوا متعدّدين ، حيث يشترط في الحاكم الإسلامي : رضى الله ورضى الناس، وهذه الضرائب الأربعة ليست كلاًّ على المسلمين بل خدمة لهم ، فهي تطهير وتزكية توجب النماء ، فإنّ التكافل الاجتماعي يوجب قوّة المجتمع ، وقوّة المجتمع تؤدّي إلى تقدّم الاقتصاد ، ولذا قال سبحانه : ﴿ **تُطهّرُهُم وتُزكّيهِم بها**﴾[٢٠٤] .

---

[٢٠٣] ــ ديوان الإمام علي عليه السلام : ص٧٣ .

[٢٠٤] ــ سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر : (**تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم .. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج**)[٢٠٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الجباة :

(**إيّاك أن تضرب مسلماً، أو يهوديّاً ، أو نصرانيّاً ، في درهم خراج أو تبيع دابّة عملٍ في درهم ، فإنّما أُمِرنا أن نأخذ منهم العفو**)[٢٠٦].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : (**من عدل في سلطانه وبذل إحسانه ، أعلى الله شأنه وأعزّ أعوانه**)[٢٠٧].

ومن كتاب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر لما ولاّه على مصر : (**الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى ... واجعل لهم قسماً من بيت مالك** ...)[٢٠٨].

سأل رجلٌ الإمام الحسن عليه السلام عن السياسة فقال عليه السلام :

(**السياسة أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات فأمّا حقوق الله فأداء ما طلب والاجتناب عمّا نهى ، وأمّا حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخّر عن خدمة أمّتك** ...)[٢٠٩].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**لا يدخل الجنّة .. عشارٌ ولا قاطع رحم** ..)[٢١٠].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

---

[٢٠٥]_ شرح نهج البلاغة : ج١٧ ص٧٠ ب٥٣ .

[٢٠٦]_ وسائل الشيعة :ج٩ ص١٣٢ ب١٤ ح١١٦٨٣ .

[٢٠٧]_ تصنيف غرر الحكم : ص٣٤٠ .

[٢٠٨]_ نهج البلاغة : كتاب ٥٣ .

[٢٠٩]_ سيرة الأئمّة الإثنى عشر : ج١ ص٥٢٥ .

[٢١٠]_ الخصال : ج٢ ص٥٤ .

(من عمل بالعدل حصّن الله ملكه)[٢١١].

[٢١١] _ غرر الحكم : ص٣٤٠ .

الروح

كان من أسباب التفاف الناس حول الإسلام ، أنّهم وجدوا فيه برنامجاً روحيّاً يغذّي أرواحهم كما يغذّي الطعام أبدانهم، ذلك لأنّ الروح والبدن كلاهما له متطلبات، فروح الإنسان بحاجة إلى فهم المبدأ والمعاد والغرض من الخلقة ، وما أشبه ذلك .

والإسلام يجيب عن كلّ هذا الأسئلة بأجوبة عقلية يستريح لها البال وتطمئن لها النفس .

علماً بأنّ القرآن الحكيم والسنّة المطهّرة زاخران به ، لا من باب الشرع فقط ، بل من باب العقل أيضاً وقد تطرق العلماء إلى تفصيل ذلك في كتبهم الكلاميّة[٢١٢] .

ثمّ إنّ الغرب لما استغلّ رغبة الإنسان في المادّيات ومتطلّبات الجسم، وقوى جوانب المادّة والجسم ، وساعده حاجة الناس الملحّة إليهما ، فالتفّوا حوله ، وتركوا المعنويّات ومتطلّبات الروح كأنّها أمور ثانويّة في منظار الناس العاديين ، وقد ورد : (**من لا معاش له لا معاد له**) ، وفي القرآن الحكيم : ﴿**فليعبدُوا ربَّ هذا البيت ۞ الذي أطعمهُم من جوعٍ وآمنهُم من خوف**﴾[٢١٣]، إضافة إلى أنّ المسلمين تقهقروا حتّى في الجانب الروحي من ملء الفراغ الروحي، ومن عرض الأجوبة والحلول الفكريّة والعقائديّة بشكل صحيح ، وعلى أثر التقهقر في كلا المجالين :

---

[٢١٢]_ راجع «كفاية الموحّدين» و«حقّ اليقين» ، ومجموعة الكتب العقائديّة والكلاميّة للإمام المؤلّف .

[٢١٣]_ سورة قريش : الآيات ٣ . ٤ .

مجال الروح ومجال الجسم تفشّت أمراض الروح والجسم في المسلمين وعشعش فيهم المرض والفقر والجهل والاستبداد وانفضّ الناس عن الإسلام إلى من له شيء من المادّة .

والغرب بكنائسه وكتبه المقدّسة لم يتمكّن من ملء الفراغ الروحي حيث كان ما عرضه للناس ناقصاً مشوّهاً ، ولذا انصرف كثير من الناس إلى الإلحاد الصريح ـ كما في الشيوعيّة والوجوديّة والإباحيّة ـ أو كان ما عرضه يفصل بين السماء والأرض ، وتمسكوا بعبارة «دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله» ، ولهذا حصل الانفصام في الإنسان ممّا سبّب له عنتاً وإرهاقاً وقلقاً واضطراباً في داخله ونفسه .

ولا علاج إلاّ بأن ينهل المسلمون من المعين العذب للعقائد والأفكار والمعنويّات الإسلاميّة ، وأن يعرضوا على العالم ذلك، إضافة إلى الأخذ بما أكّده الإسلام من الاهتمام بجانب الجسم أيضاً، حتّى يفكر الناس في الجانب الروحي الصحيح ، فيعود إلى الروح غذاؤها ، ويكون الالتئام بين الروح والجسد ، قال تعالى :

﴿ومنهم من يقولُ ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النَّار أولئك لهم نصيب ممّا كسبوا ...﴾[٢١٤].

ثمّ إنّ الدنيا لا تبقى سالمة لأصحابها من دون أن تجازيهم على أعمالهم ، فإنّ :

﴿من أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكا...﴾[٢١٥].

والحاصل : إنّ ما يدفع الناس إلى الالتفاف حول الغرب هو اهتمام الغرب بتوفير متطلّبات الجسم وإن كان على حساب الروح وموت المعنويّات .

أمّا المسلمون فأوضاعهم اليوم أصبحت متردية للغاية ، لأنّهم بقوا لا يستطيعون من توفير متطلّبات الروح والجسد ـ على ما يرتضيه الإسلام ـ معاً إلاّ م،ا شذّ ، ولذلك تجد في بلادنا القروض الدولية ، وتكدس الأموال عند السلطات ، والهبات

---

[٢١٤]_ سورة البقرة : الآية ٢٠١ .

[٢١٥]_ سورة طه : الآية ١٢٤ .

الكبيرة من الغرب حتّى لبلاد الإسلام ، بينما غالبية المسلمين يعيشون في الفقر وتوابعه .

في حديث قدسي قال سبحانه وتعالى :

(أيّما عبد اطّلعتُ على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسّك بذكري ، تولّيت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه)[٢١٦].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(مداومةُ الذّكر قوتُ الأرواح ومفتاح الصلاح)[٢١٧].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(مثل روح المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أخرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم يعبأ به** وقال: **(إنّ الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله إنّما هو كالكلل للبدن محيطةٌ به)**[٢١٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(عليكم بذكر الله فإنّه شفاءٌ وإيّاكُم وذكر الناس فإنّه داءٌ)[٢١٩].

قال الإمام السجّاد عليه السلام في الدعاء :

(إلهي فاجعلنا من الذين توشّحت أشجار الشوق إليك في حدائق صورهم ... واطمأنّت بالرّجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم ، وتيَقنت بالفوز والفلاح أرواحهم)[٢٢٠].

سئل الإمام الباقر عليه السلام عن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : **(إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان)؟ قال : هو قوله عزّ وجلّ : ﴿أيّدهم بروحٍ منه﴾**

---

[٢١٦]_ عدّة الداعي : ص٢٤٩ .

[٢١٧]_ تصنيف غرر الحكم :ص١٨٩ .

[٢١٨]_ بصائر الدرجات : ص٤٦٣ .

[٢١٩]_ تنبيه الخواطر : ص٧ .

[٢٢٠]_ الصحيفة السجّاديّة : مناجاة العارفين .

ذلك الذي يفارقه)[٢٢١].

قلت لأبي عبد الله عليه السلام أرأيت قول النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يزني الزاني وهو مؤمن ؟

قال : **(ينزع منه روح الإيمان .**

قلت : فحدّثني بروح الإيمان .

قال : **هو شيء ، ثمّ قال: هذا أجدر أن تفهمه ، أمّا رأيت الإنسان يهمّ بالشيء فيعرض بنفسه شيء يزجره عن ذلك وينهاه ؟**

قلت : نعم .

قال : **هو ذلك)**[٢٢٢].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(إنّ للجسم ستّة أحوال : الصحّة والمرض والموت والحياة والنوم واليقظة ، وكذلك الرّوح فحياتها علمُها ، وموتُها جهلها ، ومرضها شكّها ، وصحّتها يقينها ، ونومها غفلتها ، ويقظتها حفظها)[٢٢٣].

قال الإمام علي عليه السلام :

(الذكر يشرح الصدر)[٢٢٤].

وقال أيضاً :

(ذكر الله جلاء الصدور وطمأنينة القلوب)[٢٢٥].

---

[٢٢١]_ بحار الأنوار : ج٦٦ ص١٩٠ ح٥ ب٣٣ ، ثواب الأعمال ص٢٦٣ عقاب الزاني والزانية .

[٢٢٢]_ بحار الأنوار : ج٦٦ ص١٩٢ ح٧ ب٣٣ .

[٢٢٣]_ بحار الأنوار : ج٥٨ ص٤٠ ح١٠ ب٤٢ ، التوحيد : ص٣٠٠ باب إثبات حدوث العالم .

[٢٢٤]_ غرر الحكم : ص١٨٩ .

[٢٢٥]_ غرر الحكم : ص١٨٩ .

الفطرة

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون بنظام خاص ، وقرّر لكلّ شيء سلسلة من الملائمات والمنافرات والمقوّمات والعوائق وعوامل البناء والهدم ، فالحيوان والنبات ـ مثلاً ـ وضع لهما منهاجاً خاصّاً ، قال سبحانه : ﴿**إلاّ هو آخذٌ بناصيتها**﴾[٢٢٦]، فسعادة الحيوان ـ مثلاً ـ تكمن في وجوده ضمن إطار خاص .

وأمّا في الإنسان فإنّ الأهم في قانون الحياة والخلقة ، أن يتطابق التشريع مع التكوين ، فإن تطابقا سعد الإنسان ، وإن افترقا أصابه الشقاء ، فتلك من: ﴿**فطرت الله الّتي فطر الناس عليها**﴾[٢٢٧]، والمهمّ أن لا يخرج الإنسان عن منهج الله ليوفّر لنفسه السعادة ويبعد عنها الشقاء . والإسلام حيث كان يطبّق كانت مسارب الإنسان ومجاريه مطابقة للفطرة ، ولذلك وفّر له العيش الرّغيد والحياة الهانئة .

وحيث رأى الناس سعادة المسلمين التفوا حول الإسلام وانضووا تحت لوائه ، فإنّ الفطرة من الداخل كانت تريهم المسير ، مطابقة للشريعة في الخارج .

أمّا حين ترك المسلمون الإسلام تشريعاً ، وقعوا في أشدّ الضنك وأضحوا تعساء ، وتفرق الناس من حولهم ، ولذا كان من أدلّة الأحكام : «العقل» .

وقد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن «العقل» ، وكذلك ورد ذكره في الحديث الشريف : (**إن لله على الناس حجّتين ، حجّة ظاهرة وحجّة باطنة فأمّا**

---

[٢٢٦]_ سورة هود : الآية ٥٦ .

[٢٢٧]_ سورة الروم : الآية ٣٠ .

الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة «عليهم السلام» **وأمّا الباطنة فالعقول)**[٢٢٨] .

وقال العلماء : «كلّما حكم به العقل حكم به الشرع ، وكلّما حكم به الشرع حكم به العقل»[٢٢٩].

وحيث أخذ الغرب بشيء من الفطرة التفّ الناس حولهم .

إنّ النظافة والنظام والحرّيّة والشورى والتعدديّة والتساوي أمام القانون وعدم الظلم وعدم الاستبداد وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وألف شيء وشيء ، كلّها مقرّرة في الإسلام ، وقد تركها المسلمون ـ على الأغلب ـ وأخذ بعضها الغرب فتقدّموا بقدر ما أخذوا .

ولا علاج في إرجاع المسلمين إلى سيادتهم ، ولا إلى إرجاع العالم إلى رشده إلاّ برجوع المسلمين إلى دينهم ومبادئهم وفطرتهم ، ثمّ دعوة العالم إليها بالحكمة والموعظة الحسنة .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءَهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأربعة أشهر الصلوات على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ، **وأربعة الدعاء لوالديه)**[٢٣٠].

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال :

سألته عن قول الله عزّ وجل : ﴿**حنفاء لله غير مشركين به**﴾؟ قال: **الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم**

---

[٢٢٨]_ تحف العقول : ص٣٨٣ ، بحار الأنوار : ج١ ص١٣٧ ح٣٠ ب٤ .

[٢٢٩]_ للمزيد أنظر كتاب «الأصول» وكتاب «الفقه : حول العقل» للإمام المؤلّف «دام ظله» .

[٢٣٠]_ تفسير نور الثقلين : ج٤ ص١٨٤ .

على المعرفة به ، قال زرارة : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى ...**﴾ الآية ؟ قال : **أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة ، فخرجوا كالذّرّ فعرّفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه وقال : قال رسول الله** «صلى الله عليه وآله وسلم» : **كلّ مولود يولد على الفطرة ، يعني المعرفة بأنّ الله عزّ وجل خالقه ، كذلك قوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله﴾**[٢٣١].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾[٢٣٢] قال : (**التوحيد، ومحمّد رسول الله ، وعلي أمير المؤمنين**)[٢٣٣].

عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**كانت شريعة نوح** «صلوات الله عليه» **أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد، وهو الفطرة التي فطر الناس عليها**)[٢٣٤].

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجل : ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ ما تلك الفطرة ؟

قال: (**هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال ﴿ألستُ بربّكم﴾**[٢٣٥] **وفيه المؤمن والكافر**)[٢٣٦].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(**كلّ مولودٍ يولد على الفطرة حتّى يكون أبواهُ يهوّدانه وينصّرانه**

---

[٢٣١]_ الكافي (أصول) ج٢ ص١٢ ـ ١٣ .

[٢٣٢]_ سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٢٣٣]_ اليقين : ص٤٣١ ، بحار الأنوار : ج٣ ص٢٧٨ ح٩ ب١١ .

[٢٣٤]_ تفسير نور الثقلين : ج٤ ص١٨٥ .

[٢٣٥]_ سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .

[٢٣٦]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص١٢ ح٢ .

ويمجّسانه)[٢٣٧].

عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن جدّه محمّد بن علي بن الحسين «عليهم السلام» في قوله : ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ قال : (**هو لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله** «صلى الله عليه وآله وسلم»، **عليٌ أمير المؤمنين** عليه السلام **إلى ههنا التوحيد)**[٢٣٨].

---

[٢٣٧]_ غوالي اللئالي : ج١ ص٣٥ ، بحار الأنوار : ج٣ ص٢٨١ ح٢٢ ب١١ .

[٢٣٨]_ بحار الأنوار : ج٣ ص٢٧٧ ح٣ ب١١ ، تفسير القمي : ج٢ ص١٥٤ في تفسير سورة الروم .

الإنسان

أعطى الإسلام الأولوية للإنسان حيث جعله المحور في كلّ شيء ، وجعل المادّة في الهامش ، وكان ذلك سبباً في توازن المجتمع الإسلامي ممّا أدّى إلى التفاف الناس حول الدين الإسلامي الحنيف .

لكنّ المسلمين اليوم تبعوا الغرب حيث جعلوا الإنسان في الهامش ، والمادّة أصبحت هي المحور الأساسي عندهم غافلين عمّا يتظاهر به الغرب من تمسّكه بحقوق الإنسان المزعوم ممّا أدّى إلى انخداعهم .

وحيث أنّ الغرب أعطى بعض الحقوق للإنسان، والمسلمون ـ على الأغلب ـ جرّدوه منها ، فالتفّ الناس حول الغرب بدلاً من الإسلام .

ومراجعة سريعة للمنهج الإسلامي الأصيل يكشف الإنسان أنّ القرآن الحكيم قد سخّر الكون كلّه لخدمته ، حيث قال تعالى :

﴿**ولقد كرّمنا بني آدم ...**﴾[٢٣٩]، وقال سبحانه : ﴿**وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً**﴾[٢٤٠]، وقال : ﴿**تبارك الله أحسن الخالقين**﴾[٢٤١]، إلى غير ذلك، حتّى جعل من قتل إنساناً واحداً كمن قتل الناس جميعاً، ومن أحيى إنساناً كما أحيى الناس جميعاً ، قال تعالى: ﴿**من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعاً**﴾[٢٤٢].

إنّ من يقتل إنساناً لأجل غاية يريد الوصول إليها يؤكّد على أن نفسه متلوّثة

---

[٢٣٩]_ سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

[٢٤٠]_ سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

[٢٤١]_ سورة المؤمنون : الآية ١٤ .

[٢٤٢]_ سورة المائدة : الآية ٣٢ .

بهذه الجريمة ، بحيث لو توقّف تحقيق تلك الغاية على قتل الناس جميعاً ، وتمكن من ذلك لأقدم على ذلك .

وكذلك حال بقية الناس ، فأيّ جوهري بين من يرمي رصاصاً لتحقيق غاية دنيئة، وبين من يرمي قنبلة ذرّية تنسف ملايين البشر لتحقيق تلك الغاية ، أو تقضي على كلّ البشريّة كذلك ؟

فإنّ من لا يتورّع عن إطلاق رصاصة في لحظة غضب جامح ، أو لأجل رغبة شيطانية، لا يتورّع عن ضغط زر تنطلق إثره عشرات الصواريخ حاملة الرؤوس النووية ـ فيما لو كان الضغط على ذلك الزّر يتم بنفس بساطة وسهولة الضغط على زناد البندقيّة ـ .

وحيث رأى الناس أنّ الإسلام يكنّ هذا الاحترام الكبير للإنسان أحبّوه والتفّوا حوله ، وهناك احترامات أخرى منها : (**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع**)[٢٤٣]، وقول علي عليه السلام :

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ[٢٤٤]

ومع مرور الزمن ترك المسلمون تلك المعاني السامية ، وجعلوا المادّة هي المحور ، ولذا قتل بعضهم بعضاً ، وهجّر بعضهم بعضاً ، ولم يهتمّ بعضهم ببعض ، وصاروا كما قال تعالى: ﴿**ثمّ أنتم هؤلاء تقتُلون أنفسكم وتخرجُون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرُون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتُوكُم أسارى تُفادوهُم وهو محرّمٌ عليكم إخراجُهُم أفتُؤمنُون ببعض الكتاب وتكفُرُون ببعضٍ فما جزاءُ من يفعلُ ذلك منكُم إلاّ خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردُّون إلى أشدِّ العذاب**﴾[٢٤٥].

---

[٢٤٣]_ وسائل الشيعة : ج١٢ ص١٥٣ .

[٢٤٤]_ نهج البلاغة : الخطبة ٢٨٤ .

[٢٤٥]_ سورة البقرة : الآية ٨٥ .

لما أسري برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» حضرت الصلاة فأذّن وأقام جبرائيل فقال: **يا محمّد تقدّم ، فقال له رسول الله : (تقدّم يا جبرائيل ، فقال له : إنّا لا نتقدّم الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم** عليه السلام)[٢٤٦]

عن عبد الله بن سنان ، قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقلت : الملائكة أفضلُ أم بنُو آدم ؟ فقال : (**قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** عليه السلام : **إنّ الله عزّ وجل ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوةٍ وركّب في البهائم شهوة بلا عقلٍ ، وركّب في بني آدم كلتيهما ، فمن غلب عقله شهوته ، فهو خيرٌ من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌ من البهائم**)[٢٤٧].

قال الإمام الباقر عليه السلام :

(**وما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجل من مؤمنٍ، لأنّ الملائكة خُدّام المؤمنين ...**)[٢٤٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً ، وأقل الناس قيمة أقلّهم علماً**)[٢٤٩].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(**غاية الأدب : أن يستحي الإنسان من نفسه**)[٢٥٠].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(**المرآة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس لأنّه يرى محاسنه من**

---

[٢٤٦]_ بحار الأنوار : ج١٨ ص٤٠٤ ح١٠٨ ب٣ .

[٢٤٧]_ علل الشرائع : ص٤ .

[٢٤٨]_ بحار الأنوار : ج٦٦ ص١٩ ح٢ ب٣ .

[٢٤٩]_ روضة الواعظين : ص٨ ، بحار الأنوار : ج١ ص١٦٣ ح١ ب١ .

[٢٥٠]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢٠ ب٩٠ ص٢٦٥ .

أوليائه منهم ، ومساوئه من أعدائه فيهم)[٢٥١].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(كمال الإنسان العقل)**[٢٥٢].

(أعقل عقلك واملك أمرك وجاهد نفسك واعمل للآخرة جهدك)[٢٥٣].

(عنوان فضيلة المرء عقله وحسن خلقه)[٢٥٤].

(للإنسان فضيلتان ، عقل ومنطق ، فبالعقل يستفيد وبالمنطق يفيد)[٢٥٥].

---

[٢٥١]_ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج٢٠ ب١٢٨ ص٢٧١ .

[٢٥٢]_ غرر الحكم : ص٥٠ .

[٢٥٣]_ غرر الحكم : ص٥٠ .

[٢٥٤]_ غرر الحكم : ص٥٠ .

[٢٥٥]_ غرر الحكم : ص٥٠ .

الأخلاق

كانت الأخلاق الإسلامية من أهم أسباب التفاف الناس حول الإسلام واعتناق مذهبة ، فالأخلاق تدخل في كلّ مفردة من مفردات الإسلام ، وتمتزج بكلّ شأن من شؤونه : العبادات ، والمعاملات، والحروب ـ بالمعنى الأعم ـ والقضاء ، والإمارة، والاجتماع ... وغيرها .

ولذا قال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)[٢٥٦].

وقد أشرنا إلى بعض ذلك في كتاب : «الأخلاق الإسلاميّة» .

فالناس كلّهم سواسية أمام القانون ، لا فرق بين أعلى شخصية في الدولة وأدنى شخصية في السلّم الاجتماعي، فكلاهما يمتثلان أمام القضاء الإسلامي ويجري عليهما الحكم بلا تحيّز ، حتّى ولو كان أحد الممتثلين غير مسلم .

وقد حضر الإمام علي عليه السلام عند شريح القاضي ، «قاضي الإمام»، حينما اختلف مع رجل يهودي في درع كان يملكها الإمام عليه السلام ، وادعى اليهودي انّه ـ أيّ الإمام ـ يملكها كذباً وزوراً ، وكان الإمام عليه السلام يومئذٍ خليفة المسلمين والقائد الأعلى للدولة الإسلاميّة[٢٥٧].

فسلوك الإمام عليه السلام وسيرته هذه من شأنها أن تجسد الأخلاق الإسلاميّة

---

[٢٥٦]_ مكارم الأخلاق : ص٨ .

[٢٥٧]_ أشار الإمام المؤلّف إلى ذلك في كتابه «الحكومة الإسلاميّة في عهد أمير المؤمنين» ، علماً أنّ حكومة الإمام أمير المؤمنين كانت تشمل ٥٠ دولة وفق الخارطة الجغرافيّة الحالية .

الفاضلة، التي لا ترى أيّ تفاضل اجتماعي أمام القانون الإسلامي .

فكلّ رجال الدولة من الخليفة إلى الأمير إلى الوزير إلى القاضي إلى المرجع الديني إلى إمام الجمعة .. كلّهم متساوون أمام القانون، فلا تفاضل بينهم إلاّ بالتقوى ، ولا محسوبيّة ولا منسوبيّة ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٢٥٨]، و﴿**أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى**﴾[٢٥٩]، وبحسب ما حصل عليه من كفاءات ومؤهّلات ، وإلاّ فالناس كلّهم سواء وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله :

فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ يفاخرون به فالطين والماء[٢٦٠]

أمّا الأخلاقيّات في المعاملة والعبادة والعائلة والشركاء ، وغيرها فحدّث عنها ولا حرج ، وقد ألمعنا إلى جملة منها في كتاب الفقه : «الآداب والسنن»[٢٦١].

ولما رأى الناس تلك الأخلاقيّات الرّفيعة ، ابتداءً من النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والوصي عليه السلام وانتهاءً بمراجع التقليد والقضاة وأئمّة الجمعة والجماعة ، التفّوا حول الإسلام .

ولما أدبر كثير من حكّام المسلمين وكبرائهم عن تلك الأخلاقيّات ـ كما هو الحال في الوقت الحاضر ـ انفضوا عنهم، والتفّوا حول الغرب الذي فيه شيء من ذلك، كـ«الديمقراطيّة»، و«حقوق الإنسان» وكون «الصحّة والثروة والعلم للجميع ـ إلى حدّ ما ـ » ، وإن كان الفارق بين الإسلام والغرب من الثريا إلى الثرى .

---

[٢٥٨]_ سورة الحجرات : الآية ١٣ .

[٢٥٩]_ سورة النجم : الآية ٣٩ .

[٢٦٠]_ ديوان الإمام علي عليه السلام : ص١٣ .

[٢٦١]_ موسوعة الفقه : ج٩٤ . ٩٧ .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(لمّا خلق الله تعالى الإيمان قال : اللهم قوّني فقوّاه بحسن الخلق والسخاء ، ولمّا خلق الله الكفر قال : اللهم قوّني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق)[٢٦٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام : **(إنّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق، كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح)**[٢٦٣].

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» خُلقَهُ القرآن، قوله عزّ وجل :

﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ ثمّ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : **(هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك)**[٢٦٤].

عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنّه قال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقاً ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : أحسنكم خُلقاً ، وأعظمكم حلماً ، وأبرّكم لقرابته ، وأشدّكم من نفسه إنصافاً)**[٢٦٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **(حسن الخلق في ثلاث : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسع على العيال)**[٢٦٦].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(إنّ أزين الأخلاق ، الورع والعفاف)[٢٦٧].

---

[٢٦٢]_ المحجّة البيضاء : ج٥ ص٩٠ .

[٢٦٣]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص١٠١ ح١٢ .

[٢٦٤]_ تنبيه الخواطر : ص٧٢ .

[٢٦٥]_ مكارم الأخلاق : ص٤٤٢ .

[٢٦٦]_ مجموعة ورام : ج١ ص٩٠ باب العتاب .

[٢٦٧]_ تصنيف غرر الحكم : ص٢٦٩ .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**أفضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم**)[٢٦٨].

[٢٦٨]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص١٠٢ ح١٦ .

الجرائم والمشكلات

من أسباب التفاف الناس حول الإسلام في الزمن الأوّل قلّة الجرائم، وندرة المشاكل ، فقد كان الإيمان بالله واليوم الآخر من أهمّ أسباب تنامي الفضيلة في النفوس ، والفضيلة ضدّ الجريمة وتمنع عن وقوعها .

ولا زلت أتذكّر انّه قبل خمسين عاماً في العراق كانت الجرائم في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة ـ المدينتين اللتين عشت فيهما ـ أقلّ من القليل ، فإذا سمع الناس بسرقة أو جرح إنسان أو امرأة منحرفة خلقياً ، أثار ذلك دهشتهم وعجبهم ، أمّا حوادث القتل فلم تكن تقع إلاّ نادراً ، فالأموال كانت محترمة ، والأعراض مصونة والدّماء محقونة ، وكذلك الحال بالنسبة للمشاكل الاجتماعيّة مثل : حوادث الطلاق ، والمنازعات ، وانفصام العوائل ، وطرد الأولاد وعقوقهم أو بالعكس .

وإذا حدث نزاع فإنّه كان يتمّ الفصل بين المتنازعين عند رجل الدين ، ولا يستغرق ذلك أكثر من ساعات ، ولا يصل الأمر إلى أيّام فضلاً عن الشهور والسنين .

أمّا المسلمون في هذه الأيّام فحيث ضعف الوازع الديني في نفوس الكثيرين منهم ـ إلاّ من عصمه الله تعالى ـ غرقوا في الجرائم والمشاكل.

وقد استوردوا من الغرب أنواع الرذائل ، كما تعلّموا منهم بيع الخمور والقمار وتعاطي الرّبا والغناء والفجور وسائر الموبقات ، بدلاً من أن يتعلّموا منهم سبل التقدّم الصناعي والزراعي والتجاري ، فأصبحوا كما يقول المثل ممّن «ضيّع المشيتين» و«على نفسها جنت براقش» .

ولا علاج إلاّ بتطبيق الإسلام والالتزام بمنهاجه ، وهو الذي يوفّر في النفس

الخوف من الله ـ كما كان في العهد السابق ـ وليس الأمر بإطلاق الشعارات والادّعاءات ، بل بالواقع والحقيقة ، قال «صلى الله عليه وآله وسلم»: (**فاسألوا الله ربّكم بنيّاتٍ صادقة وقلوب طاهرة**)[٢٦٩]، وقال علي عليه السلام : (**فلمّا علم الله منّا الصدق أنزل علينا النصر**)[٢٧٠].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**إنّ أحبّكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً ، الذي يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة ، والمفرّقون بين الإخوان ، الملتمسون لأهل البراء العثرات**)[٢٧١].

من خطبة رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في حجّة الوداع قال فيها :

(**إنّ دماءكم وأموالكُم عليكُم حرامٌ كحرمة يومكُم هذا في شهركُم هذا في بلدكُم هذا إلى يوم تلقُونه فيسألكُم عن أعمالكم**)[٢٧٢].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(**إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنّة فالقاتل والمقتول في النار**)

قيل : يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟!

قال : (**لأنّه أراد قتلاً**)[٢٧٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(**فاز والله الأبرار ، تدري من هم ؟ هم الذين لا يؤذون الذّر**)[٢٧٤].

---

[٢٦٩]_ الإمالي للشيخ الصدوق : ص٩٣ المجلس العشرون .

[٢٧٠]_ نهج البلاغة : الخطبة ٥٦ .

[٢٧١]_ غوالي اللئالي : ج١ ص١٠٠ ، بحار الأنوار : ج٦٨ ص٣٨٢ ح١٧ ب٩٢ .

[٢٧٢]_ وسائل الشيعة : ج١٩ ص٣ .

[٢٧٣]_ وسائل الشيعة : ج١١ ص١١٣ .

[٢٧٤]_ تفسير القمي : المجلّد الثاني ص١٤٦ سورة القصص .

قال الإمام السجّاد عليه السلام :

(كفُّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً)[٢٧٥].

قال الإمام الصادق عليه السلام :**(أنظر أن لا تكلمنّ بكلمة بغي أبداً وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك)**[٢٧٦].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(إنّ الله سبحانه ليبغضُ الوقحَ المتجرّئ على المعاصي)[٢٧٧].

قال الإمام علي عليه السلام : **(لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً)**[٢٧٨].

(إيّاك والإصرار فإنّه من أكبر الكبائر وأعظم الجرائم)[٢٧٩].

(التبجح بالمعاصي أقبح من ركوبها)[٢٨٠].

(إذا ضعفت فاضعف عن معاصي الله)[٢٨١].

---

[٢٧٥]_ تحف العقول : ص٢٨٣ .

[٢٧٦]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٣٢٧ ح٣ .

[٢٧٧]_ غرر الحكم : ص١٨٧ .

[٢٧٨]_ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ص٧٠ ، بحار الأنوار : ج٧٢ ص١٤٧ ح١ ب٥٧ .

[٢٧٩]_ غرر الحكم : ص١٨٧ .

[٢٨٠]_ غرر الحكم : ص١٨٧ .

[٢٨١]_ غرر الحكم : ص١٨٧ .

الرقابة النفسيّة

كان من أسباب التفاف الناس حول الإسلام : المواظبة الشديدة لدى المسلمين على محاسبة النفس والرقابة النفسيّة ، فقد التزم المسلمون بهذه الصفة الحميدة «محاسبة النفس» ، لأنّ دينهم دعاهم إلى ذلك ، فالمسلمون كانوا نموذجاً في أمانتهم وصدقهم وصحّة عملهم وإتقانهم وفي كلّ سلوكهم ، ولذا التفّ الناس حولهم ، إذ الإنسان يحبّ بفطرته أن يتعامل بثقّة وصدق وأمانة و.. مع أولاده وزوجته وأبويه وعمّاله وشريكه وحاكمه وعالمه وجاره وصديقه .

لكنّ افتقاد كثير من المسلمين لهذه الثقّة وتلك الأمانة أدى إلى نفور الناس من الإسلام وابتعادهم عن مذهبه .

إنّ الثقّة والأمانة والصدق و.. لا تتوفّر عبر القانون ، ذلك لأنّ القانون ظاهري فقط ، والشرطة إنّما تحمي الظاهر من الأمر، أمّا الباطن فالأمر بحاجة إلى رقابة نفسيّة يقظه ، وهي لا تحصل إلاّ بالإيمان بالله السميع البصير ، العليم بسرائر خلقه وما تخفي الصدور .

أمّا اليوم فقد انسلخ المسلمون على الأغلب من محاسن الصفات ومكارم الأخلاق، ولم يراعوا حتّى التظاهر به ، وقد أخذ الغرب ببعضه ، ولذا ابتعد الناس عن المسلمين والتفوا حول الغرب ، فإنّك ترى في الغرب الإتقان في العمل والاستشارة في الأمور والانضباط والنظام والنظافة والصحّة ، ومع أنّها ليست كاملة ولكنّها متوفّرة إلى حدّ ما .

وهذه الأمور ولدت فيهم بسبب المنافسة والمراقبة والأحزاب الحرّة والنقابات

ووسائل الأعلام ـ لا من جهة الخوف من الله سبحانه وتعالى ـ .

وقد كنّا نقرأ في أوائل بعض الكتب الدراسيّة حديثاً شريفاً يقول : (**أوّل العلم معرفة الجبّار وآخر العلم تفويض الأمر إليه**)[٢٨٢]، فإنّ العلم النافع ، متوقّف على معرفته سبحانه، والمعرفة الكاملة تستدعي تفويض الأمر إليه تعالى ، إذ الإنسان ليس إلاّ جرماً صغيراً في هذا النظام الكوني الهائل ، الذي لا يعرف أوّله ولا آخره، ولا طوله ولا عرضه ، ولا عمقه، ولا شيء من خصوصيّاته الذاتيّة والعرضيّة إطلاقاً، وإنّما يكون الإنسان بالنسبة إليه كما قال سبحانه: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة والدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾[٢٨٣] فالإنسان يعرف الظاهر من الأشياء فقط ، وعن الدنيا فقط .

إنّ الفرد منّا يفوّض أمره ويولي زمامه في عملياته الجرّاحيّة ، وفي تنقله من مكان إلى آخر إلى الطبيب والطيّار ، فكيف بأمور حياته المصيريّة التي ترتبط بسعادته وشقاوته في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة ، وهو لا يعلم منها شيئاً ، والعالم بها هو الله تعالى وحده الذي بيده ملكوت كلّ شيء ، ومن المعلوم أنّ الذي يفوّض أمره إلى الله تعالى خالق الكون ومدبّره ، يهديه الله تعالى إلى ما فيه صلاحه وخيره .

وعليه فقوله تعالى: ﴿**فوقاه الله سيّئات ما مكروا**﴾[٢٨٤]،إشارة إلى مصداق من مصاديق أوّل الآية : ﴿**وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصيرٌ بالعباد**﴾[٢٨٥]، وإلاّ فإنّ الله سبحانه يحفظ الإنسان ـ دون شعور أو إحساس منه في أكثر الأحيان ـ من الغرق والحرق والخسف والهدم والسقوط ، ومختلف الأمراض والأوبئة والكوارث ، وغيرها .

---

[٢٨٢]_ جامع المقدّمات كتاب الأمثلة : ص١٧ .

[٢٨٣]_ سورة الروم : الآية ٧ .

[٢٨٤]_ سورة غافر : الآية ٤٥ .

[٢٨٥]_ سورة غافر : الآية ٤٤ .

وعلى أيّ حال : فإنّ كثيراً من المسلمين انفضّوا عن تلك المعاني السامية ، لأنّ خوف الله سبحانه لم يتجذّر أو يتوفّر فيهم ، كما توفّر وتجذّر في المسلمين الأوائل .

هذا مع قطع النظر عن انقطاع الألطاف الإلهيّة الخاصّة عنهم ، حيث إنّ هناك تجارة بين الإنسان وبين ربّه سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿ **تجارةً لن تبور**﴾[٢٨٦]، وقال سبحانه : ﴿**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...**﴾[٢٨٧]، ومادام المشتري لا يعطي الثمن ، فهو لا يأخذ المثمن أيضاً .

ومن الواضح أن للعاقل فضلاً على المؤمن الجاهل ، إنّ كلّ شيء ـ حسب الأدلّة العقليّة والنقليّة ـ بيد الله سبحانه ، وإنّه على كلّ شيء قدير ، قال تعالى : ﴿**يا أيّها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد ۞ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد ۞ وما ذلك على الله بعزيز**﴾[٢٨٨]، وكما يقول الملاّ هادي السبزواري :

أزمّة الأمور طرّاً بيده والكلّ مستمدٌّ من مدده[٢٨٩]

قال سبحانه : ﴿**قل اللهمَّ مالك الملك ...**﴾[٢٩٠].

وقال تعالى : ﴿**فإنّ العزّة لله جميعاً**﴾[٢٩١].

وقال تعالى : ﴿**ولله خزائن السّماوات والأرض ...**﴾[٢٩٢].

وقال جلّ ذكره: ﴿**يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذّكور**﴾[٢٩٣].

---

[٢٨٦] ـ سورة فاطر : الآية ٢٩ .

[٢٨٧] ـ سورة التوبة : الآية ١١١ .

[٢٨٨] ـ سورة فاطر : الآيات ١٥ ـ ١٧ .

[٢٨٩] ـ شرح منظومة السبزواري : ص٨ .

[٢٩٠] ـ سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

[٢٩١] ـ سورة النساء : الآية ١٣٩ .

[٢٩٢] ـ سورة المنافقون : الآية ٧ .

[٢٩٣] ـ سورة الشورى : الآية ٤٩ .

إلى غير ذلك من عشرات الآيات ومئات الأحاديث الواردة بهذا الشأن .

فمن أين العزّة ؟ فمن أين الصحّة ؟ ومن أين الأمن ؟ ومن أين الجمال ؟ ومن أين الثروة ؟ ومن أين الأولاد ؟ ومن أين السعادة في الحياة ؟ ومن أين ؟ ومن أين ؟ إلاّ منه تعالى .

والإنسان مهما حلّق نحو الأقمار أو غاص في أعماق البحار ، فإنّه عاجز عن منح الحياة والروح حتّى لذبابة واحدة ، فكيف له بتوفير الحياة السعيدة، والعيش الهنيء والعزّة والمنعة لنفسه ، من دون الاستمداد من الله تعالى وطلب العون منه؟ قال تعالى ﴿**لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾[٢٩٤].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(**من عرضت له فاحشةً أو شهوةً فاجتنبها من مخافة الله عزّ وجلّ حرّم الله عليه النار ، وآمنه من الفزع الأكبر ، وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله : ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾**)[٢٩٥].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(**رحم الله امرء سَمعَ حُكماً فوعى ، ودعا إلى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا ، وراقب ربّه ، وخاف ذنبه ...**)[٢٩٦].

قيل للإمام الحسين عليه السلام : ما أعظم خوفك من ربّك ؟ قال : (**لا يأمن يوم القيامة إلاّ من خاف الله في الدنيا**)[٢٩٧].

قال الإمام الصادق عليه السلام : (**في قوله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾ : من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه**

---

[٢٩٤]_ سورة الحج : الآية ٧٣ .

[٢٩٥]_ مجموعة ورام : ج٢ ص٢٦١ .

[٢٩٦]_ نهج البلاغة : خطبة٧٦ .

[٢٩٧]_ المناقب : ج٤ ص٦٩ فصل في مكارم أخلاقه .

ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى)[٢٩٨].

قال الإمام الكاظم عليه السلام :

(ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم فإنّ عمل حسناً استزاد الله وإنّ عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه)[٢٩٩].

قال الإمام السجاد عليه السلام :

(ابن آدم : لا تزال بخير ما كان لك واعظٌ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً ...)[٣٠٠].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(خف الله خوف من شغل بالفكر قلبه ، فإنّ الخوف مظنّه مطيّة الأمن وسجن النفس عن المعاصي)[٣٠١].

قال الإمام الرضا عليه السلام :

(من لم يخف الله في القليل لم يخفّه في الكثير ...)[٣٠٢].

قال الإمام الحسن عليه السلام :

(من عَبَدَ الله عبّد الله له كلّ شيء)[٣٠٣].

قال الإمام الهادي عليه السلام :

(من اتّقى الله يُتّقى ...)[٣٠٤].

---

[٢٩٨]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٧٠ ح١٠ .

[٢٩٩]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٤٥٣ ح٢ .

[٣٠٠]_ بحار الأنوار : ج٦٧ ص٣٨٢ .

[٣٠١]_ تصنيف غرر الحكم : ص١٩١ .

[٣٠٢]_ بحار الأنوار : ج٦٨ ص١٧٤ ب٦٤ ح١٠ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ص١٨٠ .

[٣٠٣]_ تنبيه الخواطر : ص٣٥٠ .

[٣٠٤]_ التوحيد : ص٦٠ ، باب التوليد ونفي التشبيه ،كشف الغمة : ج٢ ص٣٨٦ ، بحار الأنوار : ج٧٥ ص٣٦٦ ح٢ ب٢٨ .

(خف ربّك خوفاً يشغلك عن رجائه وأرجه رجاء من لا يأمن خوفه)[٣٠٥].

(خف الله يؤمنك ، ولا تأمنه فيعذبك)[٣٠٦].

(من خاف الله آمنه الله سبحانه من كلّ شيء ومن خاف الناس أخافه الله سبحانه من كلّ شيء)[٣٠٧].

(الخشية شيمة السعداء)[٣٠٨].

(فاتّقوا الله تقيّة من أنصب الخوف بدنه واسهر التهجّد غرار نومه واظمأ الرجاء هواجر يومه)[٣٠٩].

---

[٣٠٥]_ غرر الحكم : ص١٩١ .

[٣٠٦]_ غرر الحكم : ص١٩١ .

[٣٠٧]_ غرر الحكم : ص١٩١ .

[٣٠٨]_ غرر الحكم : ص١٩١ .

[٣٠٩]_ غرر الحكم : ص١٩١ .

النظافة

أمر الإسلام بالنظافة ، حتّى قال النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» : **(النظافة من الإيمان)**[٣١٠].

وقد كان النبي شديد النظافة، بل إنّه كان ـ فوق ذلك ـ إذا مرّ من مكانٍ ترك فيه رائحة العطر، حتّى أنّ المارّ من ذلك المكان كان يعرف من رائحة العطر أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قد مرّ من هنا ، وذلك لشدّة نظافته، ولما كان يفوح من رأسه الشريف رائحة العطر لشدّة علاقته به .

وقد جعل «صلى الله عليه وآله وسلم» ثلث مهر الزهراء «عليها السلام» في العطر وهذا ما يشير إلى شدّة اهتمامه بالنظافة والتنظّف .

ويعرف اهتمام الإسلام بالنظافة من خلال تأكيده على الوضوء لكلّ صلاة ، سواء كانت فريضة أم نافلة ، وهو غالباً يستلزم الوضوء ثلاث مرّات على الأقلّ في اليوم الواحد .

وكذلك بغسل الجَنابة وطهارة النساء من الحيض ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأغسال الواجبة أو المستحبّة .

كما أوصى الإسلام بنظافة الملبس والمأكل والمسكن ، حتّى قال : «صلى الله عليه وآله وسلم»: **(لا تبيّتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهاراً فإنّها مقعد الشيطان)**[٣١١].

ولو أردنا إحصاء توصيات الإسلام في النظافة لبلغت عدّة كتب ضخمة ، وقد

---

[٣١٠]_ نهج الفصاحة : ص٦٣٦ ح٣١٦١ ، مستدرك الوسائل : ج١٦ ص٣١٩ ب٩٢ ح٢٠٠١٦ ، بحار الأنوار : ج٥٩ ص٢٩١ ب٨٩ ح٧٢ .

[٣١١]_ بحار الأنوار : ج٧٣ ص١٧٥ ح٤ ب٣٦ .

ورد : أنّ سبب عدم نزول الوحي على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» في شأن سورة «الضحى» أنّ جبرائيل عليه السلام قال للنبي : (**كيف أنزل وفي براجم أصحابك الوساخة**)[٣١٢].

وهذا الحديث إن تمّ سنده ، فهو باب التأكّد والتشديد على النظافة وعدم التسامح في الوساخة شكلاً ورائحة ، ويظهر هذا التأكيد بجلاء عندما يتحدّث لنا التاريخ عن أنّه «صلى الله عليه وآله وسلم»، كره أكل الثوم والبصل ، فلم يأكلهما طيلة حياته .

وقال «صلى الله عليه وآله وسلم» في مجال آخر من النظافة: (**لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**)[٣١٣].

وورد : (**أنّ تحت كلّ شعرة جنابة**)[٣١٤] حتّى يلزم غسله ممّا يزيل آثار الوساخة عن كلّ جزء من أجزاء البدن .

ثمّ بعد ذلك الحثّ الكبير على النظافة ، أخذ كثير من المسلمين في الابتعاد عنها إلاّ في مثل الوضوء والغسل الواجبين ، ولم يراعوا النظافة في الكثير من شؤون حياتهم، بينما أخذ الغرب في المزيد من الالتزام بها .

فيوم انتقل المسلمون من قذارة الجاهليّة إلى نظام الإسلام ، التفّ الناس حولهم ، ولكن يوم تركوها وراعى بعض أصولها الغرب ، انفضّ من حولهم ، واستبدلوا النظام الغربي بالنظام الإسلامي .

ثمّ إنّ المصانع الحديثة زادت في وساخة بلاد المسلمين ، فالتلوّث البيئي الذي تحدثه المصانع ووسائل النقل مشهود بوضوح في بلاد المسلمين وخاصّة العواصم الإسلاميّة بينما العواصم الغربية أحاطت نفسها ـ إلى حدّ ما ـ بسياج من النظافة وبوسائل وقائية ، سلامة لبلادهم من التلوّث البيئي .

---

[٣١٢] _ مجمع البيان : ج١٠ ص٤٠٥ .

[٣١٣] _ علل الشرائع : ص٢٩٣ .

[٣١٤] _ فقه الرضا عليه السلام : ص٨١ باب الغسل من الجنابة .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(تنظّفوا بالماء من الريح المنتن الذي يتأذّى به ، وتعهّدوا أنفسكم فإنّ الله عزّ وجلّ يبغض من عباده القاذورة الذي يتأنّف به من جلس إليه)[٣١٥].

قال الإمام الرضا عليه السلام :

(من أخلاق الأنبياء التنظّف)[٣١٦].

قال الإمام الباقر عليه السلام :

(كنس البيوت ينفي الفقر)[٣١٧].

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

(نظّفوا بيوتكم من حوك العنكبوت فإنّ تركه في البيت يورث الفقر)[٣١٨].

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(إنّ الله تعالى يحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيّأ لهم ويتجمّل)[٣١٩].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(البس وتجمّل فإنّ الله جميلٌ يحبّ الجمال ، وليكن من حلال)[٣٢٠].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(قال الله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام : تطهّر ، فأخذ شاربه ..

---

[٣١٥]_ الخصال : ص٦٢٠ .

[٣١٦]_ بحار الأنوار : ج٧٥ ص٣٣٥ .

[٣١٧]_ وسائل الشيعة : ج٣ ص٥٧١ .

[٣١٨]_ وسائل الشيعة : ج٣ ص٣٤٠ .

[٣١٩]_ مكارم الأخلاق : ص٣٥ .

[٣٢٠]_ وسائل الشيعة : ج٣ ص٣٤٠ .

ثمّ قال : تطهّر ، فنتف من إبطه ..

ثمّ قال : تطهّر فقلّم أظفاره ..

ثمّ قال : تطهّر فحلق عانته ..

ثمّ قال : تطهّر ، فاختتن)[٣٢١].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(إنّ الله يحبّ الجمال والتجمّل ، ويكره البؤس والتباؤس فإنّ الله عز وجل إذا أنعم على عبده نعمةٍ يحب أن يرى أثر نعمته عليه .

قيل وكيف ذلك ؟

قال : **ينظّف ثوبه، ويطيّب ريحه ويجصّص داره ، ويكنس أفنيته، حتّى أنّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق)**[٣٢٢].

---

[٣٢١]_ مكارم الأخلاق : ص٦٠ .

[٣٢٢]_ إرشاد القلوب : ص١٩٥ الباب الثاني والخمسون .

المرأة

كانت الجاهليّة بعربها وفرسها ورومها تحتقر المرأة أكبر احتقار، وبقيت المرأة على حالتها المترديّة ، حتّى جاء الإسلام فرفع شأنها ، ووضعها في موضعها المناسب ، وأعاد إليها كرامتها الإنسانيّة ـ عمليّاً لا شعاراً ـ .

فكان ذلك الاحترام من أسباب التفاف الناس حول الإسلام ، حيث إنّ المرأة تمثل أكثر من نصف المجتمع، وهذا له دوره وانعكاساته على أسلوب الحياة والمجتمع .

لكن المجتمع الإسلامي المعاصر احتقر المرأة ، حينما حرمها من التعليم ومن حقّها في الإرث وحرم الكثير منهنّ من الزواج ومنعهنّ عن كثير من حقوقهن الأخرى[٣٢٣]، فالتجأت المرأة إلى الثقافة الغربية كبديل عن الثقافة الإسلاميّة، متصوّرة أنّ الحضارة الغربيّة ستوفّر لها ما فقدته في البلدان الإسلاميّة من حقوق ، لكنّها اكتشفت وبعد فترة قصيرة أنّ الغرب أساء لها إساءةً كبيرة ، حيث أغراها بالتبرّج والخلاعة، وفتح في وجهها دور البغاء ، وساقها إلى مستنقع الفساد والانحراف ، وبؤرة المرض والرذيلة ، وأحالها سلعة رخيصة تتجاذبها الأهواء ، وأهانها نفسيّاً واجتماعيّاً أيّما إهانة . وأصبحت معرضة للأمراض وكذا المتعاطون معها .

وكذلك أساء الغرب للمرأة بإباحة الشذوذ الجنسي، ممّا معناه حرمانها من الزواج ، فكثرت على أثره العوانس، وانتشر الأخلاء والخليلات وهدّمت العوائل ، وتحوّلت النساء إلى عارضات للأزياء ، ومروّجات للإعلانات ، وأُدخلن بالتالي في المعامل والمصانع التي لا تتلائم وطبيعتها حيث عملت المرأة في المصانع والمناجم فأضرّ ذلك بها وبشعورها وعواطفها وبأنوثتها .

---

[٣٢٣] ـ راجع موسوعة الفقه كتاب «النكاح : ج٦٢ . ٦٨» .

لكنّ الحقّ ـ وبعد فشل المبادئ الأخرى ـ أنّ الإسلام هو الوحيد الذي يراعي في قوانينه الصلاح الحقيقي للمرأة ، فلا سبيل لإسعادها إلاّ بالعودة إلى القوانين الإسلاميّة : ﴿**إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[٣٢٤] . فبدلاً من ذلك الانحطاط الخلقي والضياع الاجتماعي ، يرى في الإسلام العلو الخلقي ، والتكافل الاجتماعي ، فإنّه يرى المرأة ربّة البيت ، ومديرة شؤونه، وشريكة الرجل في حياته ، وأم أولاده ، وأساس سعادته ، بل وأساس سعادة المجتمع ورقيّه ، وإليها أوكل حضانة الجيل الجديد وتربيته، وجعل الجنّة تحت أقدام الأمّهات، وأمر الرجل بالنفقة عليها ، وتوفير ما يناسب شأنها من المسكن والملبس ، والمأكل والمشرب للتفرّغ إلى إنجاز مهمّتها المتلائمة مع فطرتها، كما وأنّه يرى ضرورة التعليم والتثقيف لها، والاشتغال بما يناسبها ويتناسب مع كرامتها وعفّتها ، مثل حياكة السجّاد والخيّاطة والتطريز ومزاولة الأعمال البيتيّة ، وتعلم الطبّ ، والتدريس الأكاديمي ، والدراسة الدينيّة ، حيث بلغت بعض النساء درجة الاجتهاد .

كما وأنّه يرى لها أن تكون إماماً لجماعة النساء في الصلاة ، وقد جعل الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» أم ورقة وغيرها ، إمام جماعة يأممن النساء في بعض مساجد المدينة ، وكانت بعض المساجد في زمن الإمام علي عليه السلام خاصّة بالنساء ، وللمرأة أن تدير المؤتمرات والتجمّعات النسائية الكبرى . وكانت المرأة في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» تهيئ الطعام للمحاربين وتقوم بإسعاف الجرحى والمصابين .

كما وأنّه يرى ضرورة فتح مدارس علميّة وتربويّة للنساء وفتح الدورات التدريبيّة المناسبة لشؤونها إسلاميّاً ، وفتح معاهد التعليم العالي للنساء حتّى يصبحن طبيبات وممرضات وقابلات ومركبات أسنان ومديرات ومعلّمات وأساتذة جامعات .

كما وأنّه يرى ضرورة تزويج العازبات والعانسات، وذلك حسب ما قرّره الإسلام

---

[٣٢٤] ـ سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

، وقد ذكرنا ذلك في كتاب النكاح بتفصيل[٣٢٥].

فإنّ المرأة كالرجل في كلّ شيء ، إلاّ فيما استثناه الله سبحانه تكويناً أو تشريعاً ، وسيرة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ، وعلي عليه السلام خير هادٍ لكيفية سلوكهنّ في مختلف الحقول ، حتّى أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» آخى بين النساء كما آخى بين الرجال . وأحياناً استشار المرأة ـ كما في قصّته «صلى الله عليه وآله وسلم» مع زوجته أم سلمة ـ ، وأخذ البيعة منهنّ مرّتين: مرّة لنفسه ، ومرّة لعليّ عليه السلام في غدير خم[٣٢٦].

إذن فالإسلام يرى أنّ المرأة حرّة ـ بما للكلمة من معنى ـ، إلاّ فيما جعل الله من القواعد الخاصّة بها ، وذلك لمصلحتها ومصلحة الرجال ، كما أنّ الرجل حرّ بمعنى الكلمة إلاّ في المحرّمات على ما سبق ، وكلّ إفراط أو تفريط في حقّ المرأة فإنّه يعني زيادة أو نقصاناً في طبيعة الحياة البشريّة ويؤول بالتالي إلى الوبال والزوال .

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» :

(خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي)[٣٢٧].

وقال أيضاً :

(ما زال جبرائيل يوصي بالمرأة حتّى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشةٍ مبيّنة)[٣٢٨].

قال الإمام السجّاد عليه السلام :

---

[٣٢٥]_ راجع موسوعة الفقه كتاب «النكاح : ٦٢ . ٦٨».

[٣٢٦]_ للمزيد راجع كتاب «الغدير» للعلامة المحقّق الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني .

[٣٢٧]_ الوافي : ج١٢ ص١١٧ .

[٣٢٨]_ عدّة الداعي : ص٩١ .

(وأمّا حقّ الزّوجة فأن تعلم أنّ الله عزّ وجل جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أنّ ذلك نعمةً من الله عليك فتكرمها وترفق بها ، وإن كان حقّك عليها أوجب ، فإنّ لها عليك أن ترحمها ...)[٣٢٩].

عن الحسن بن الجهم قال: (رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضب ؟ فقال: **نعم ، إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفّة النساء ، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة** . ثمّ قال : **أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة** ؟ قلت: لا ، قال : **فهو ذاك ...)**[٣٣٠].

قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً ؟ قال : **يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها** ، وقال أبو عبد الله عليه السلام : **كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها)**[٣٣١].

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(إنّ المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خصال يتكلّفها وإن لم يكن في طبعه ذلك : معاشرة جميلة ، وسعة بتقدير ، وغيرة بتحصّن)[٣٣٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال :

(لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته : وهي الموافقة لتجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها ، وحسن خلقه معها ، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها ، وتوسعته عليها)[٣٣٣].

---

[٣٢٩]_ الخصال : ص٥٦٧ .

[٣٣٠]_ وسائل الشيعة : ج١٤ ص١٨٣ .

[٣٣١]_ الكافي (فروع) : ج٥ ص٥١٠ ح١ .

[٣٣٢]_ تحف العقول : ص٣٢٢ .

[٣٣٣]_ تحف العقول : ص٣٢٣ .

وأخيرا

إنّ السؤال المطروح بعد هذه الرحلة القصيرة ، هو كيف يمكن إرجاع الإسلام إلى واقع المسلمين بما فيه من آيات «الأخوة» و«الحرّية» و«الأمّة»[٣٣٤] ؟ ومن سائر الدعوات والأحكام الباعثة إلى الحياة : ﴿**إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[٣٣٥]؟

كيف يمكن أن يعود الإسلام إلى الحياة ؟ وما هي الطريقة المثلى لعودة المسلمين إلى دينهم ؟

كيف يمكن نجاتهم من الوضع المرزي الذي وصلوا إليه في القرن الأخير ؟

والجواب : بما أنّه لا يمكن الرجوع إلى كافّة مناهج الإسلام وتعاليمه مرّة واحدة ودفعة واحدة ، فاللازم العودة تدريجياً ، حتّى لا يختل النظام ولا تحدث فجوات أو زلازل تهز الدولة وتفرق صفوف المجتمع، والتدرّج في التغيير ليس هو ممّا يقتضيه العقل ويسير عليه العقلاء فحسب ، بل هو ممّا انتهجه الإسلام أيضاً في أوّل ظهوره ، كما فصلنا ذلك في بعض الكتب المعنية بهذا الأمر والمرتبط بهذا الخصوص[٣٣٦]، وأشرنا إليه هنا ، حتّى لا يكون التغيير المفاجئ موجباً للسقوط ، لأنّ التغيير المفاجئ يوجب هزّة عنيفة، والهزات العنيفة توجب دائماً التفكك والسقوط والانحلال .

والذين ارتقوا سلّم الحضارة لم يرتقوها دفعة واحدة، بل كان ذلك نتيجة لجهود أجيال كاملة، بذلت من فكرها ودمها وأعصابها وضحّت بوقتها ومالها ، حتّى

---

[٣٣٤]_ مراد الإمام المؤلّف «دام ظلّه» من الآيات الثلاث : ﴿إنّما المؤمنون أخوة﴾ ، ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ ، ﴿إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدةٌ وأنا ربّكم فاعبدون﴾ .

[٣٣٥]_ سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

[٣٣٦]_ وكنموذج يلاحظ التحريم التدريجي للخمر في ٤ آيات قرآنية ، والتدرّج في نزول الأحكام .

وصلت إلى ما وصلت إليه من الرقي .

وهكذا الإسلام ، فإنّه لا يرتضي أبداً بالتغيير المفاجئ الموجب للضرر الأكبر وإنّما يرى التدرّج ومرحلية التغيير ، حتّى تتهيئ الأجواء وتستعد النفوس لقبولها .

فمثلاً إذا أغلقت الدولة دفعة واحدة كلّ الدوائر المرتبطة بالهجرة والجوازات والجنسية والجمارك، أو عطلت كلّ الدوائر الروتينيّة التي تعرقل حركة البناء والتجارة والزراعة والصناعة ، وكذا الجيش و.. ، كان ذلك سبباً في بطالة الملايين من الناس، ممّا سيوجب مفاسد كبيرة، فضلاً عن أنّه سيوجب هزّة اجتماعيّة كبرى ، وألواناً من الاضطرابات والمشاكل والمصادمات والقلاقل التي لا يمكن تحجيمها والخروج منها بسلام ، وربّما تنقل حالة البطالة والنقمة هذه إلى بلاد أخرى مجاورة، لإثارة مزيد من الاضطرابات والقلاقل .

ممّا سيؤدّي إلى أن يرى الناس أنّ الإسلام دين الفوضى ، وأنّ حال الناس في السابق أفضل من حالهم في الوقت الحاضر ، فيوجب ردّة فعل في نفوس الناس ، وينقلب الأمر إلى ضدّ المقصود فيخسر الإسلام سمعته ، بالإضافة إلى خسارته الحكم أيضاً .

ولاشكّ أن الأضرار الناجمة لا تتحدّد بأولئك الموظّفين الذين تعطلوا عن العمل ، وأُغلق باب ارتزاقهم ، وسدّ عليهم مواردهم الاقتصادية فقط ، بل تشمل أيضاً أناساً آخرين ، يرتبطون بطريقة أو بأخرى مع أولئك وهو واضح .

وكذلك الحال فيما أغلقت الدولة كلّ مرافق الباطل ، وعطّلت كلّ الأعمال المنافية لنزاهة المجتمع وسلامته .

وكذلك الحال بالنسبة لتجّار الأسلحة الذين يرتزقون عن هذا الطريق ، ويمرّرون معاشهم مقابل تدمير البشريّة وقتل الشعوب البريئة.

وكذلك الحال بالنسبة إلى إلغاء الجمارك والدوائر الروتينيّة وبعض مكاتب شرطة الحدود ونحوها .

وكذلك الحال بالنسبة إلى إلغاء العدد الهائل من الموظّفين المرتبطين بالكبت

والإرهاب وخنق الحرّيات «الأمن والمخابرات» .

ولا سبيل إلى الحياة السعيدة المنتظمة إلاّ بالعودة إلى التدرّج والتعقّل وتأسيس لجان من ذوي الاختصاصات الدنيويّة والدينيّة ، لدراسة العلاقة بين العمل الدنيوي ومدى ارتباطه بالدين والحياة الآخرة أو منافاته لها.

ومهمّة هذه اللجان توفير فرص العمل للموظّفين ومن إليهم ، الذين فقدوا عملهم المخالف للإسلام ، وفتح مجالات جديدة تتوافق مع الشريعة الإسلاميّة، تدرّ عليهم الرزق الحلال ، وتضمن لهم مواردهم الاقتصاديّة .

ولابدّ أيضاً من تهيئة الأجواء النفسيّة ، والظروف المناسبة للتغيير، فإنّه بدون هذه الأجواء والظروف لا يمكن التغيير، وسد ثغرة البطالة ، وحسم الفوضى في المجتمع .

وقد كان ذلك سبباً في فشل الدكتور «شاخت» في خطته الاقتصاديّة في إندونيسيا ، بينما نجحت نفس الخطّة في ألمانيا ، لأنّ الأجواء النفسيّة كانت ملائمة للنجاح، وقد فصّلنا ذلك في بعض كتبنا[٣٣٧].

ومن هنا فلابدّ من إعداد لجان حرّة ومستقلّة لدراسة «أوضاع المجتمع وطبيعة» ، ودراسة «كيفية تطبيق الأمّة الواحدة» ودراسة «كيفية تطبيق الأخوة الإسلاميّة» ودراسة «كيفية علاج مشكلة الفساد وبائعات الهوى» ودراسة «كيفية علاج مشكلة الاقتصاد الرّبوي والاستغلال الرأسمالي» ، وما إلى ذلك .

ولا يجوز القول بأنّ هذه التجربة «اللجان» فاشلة ، لأنّها طبقت في الهند والصين وبقيت مظاهر الفقر والفساد شاخصة على حالها .

لأنّه يجاب بأنّ الهند ورغم تحرّرها لقرن واحد ، إلاّ أنّها بقيت تطبّق النظام الغربي في بعض الأبعاد .

والصين كذلك فإنّها رغم التغيير الهائل في البنيّة الأساسيّة ، لكنّها أخطأت أكبر الخطأ في تلك المذابح الكبرى التي أقامتها على أراضيها والتي أسفرت عن مقتل

---

[٣٣٧] ـ راجع موسوعة الفقه كتاب «الفقه : الاقتصاد» للإمام المؤلّف «دام ظلّه» .

«٣٩ مليون» مواطن صيني حسب بعض الإحصاءات، كما أخطأت في محاولة تطبيق الشيوعيّة والاشتراكيّة ، وفشلت على أثرها صرخات التحرّر ، والانفتاح على الغرب ، والإصلاح في كلّ مرافق الحياة .

أمّا التجربة الإسلاميّة التي يراد تطبيقها فيجب عليها وجوباً أكيداً : أن تمنع من إراقة الدماء ، وتحول دون وقوع الأضرار والخسائر المادّيّة والمعنويّة بالناس ، ولم يستطع المسلمون تطبيق هذه التجربة وهذا النموذج من الحكم في العصر الحديث كما طبقها الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» وكما طبقها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده وخلافته. وبقيت هذه التجربة دون تطبيق باعتبار متطلّبات العصر الحاضر ، فإنّ الكتاب والسنّة والسيرة العطرة وأن أوضحت المعالم ، إلاّ أنّها في العديد من الجوانب تعدّ كبريات كلّية ، تحتاج إلى لجان مشتركة من العلماء والأخصائيين، حتّى تدرس كيفية تطبيقها على أرض الواقع ، إضافة إلى أنّ الوسائل والمعدّات قد تغيّرت في هذا اليوم وتطوّرت بشكل كبير .

ولتوضيح لزوم دراسة تطبيق كلّيات الإسلام على متطلّبات العصر نذكر نموذجاً لذلك ونقول : إنّ الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» قد تمسّك بعنصر المباغتة والسريّة في الحروب ، ولكن هل يمكن إجراء ذلك وبنفس تلك الطريقة في هذا اليوم ، حيث امتلأت بلاد الإسلام وغيرها بالجواسيس والأمن والمخابرات ، وحيث استخدمت أجهزة متطوّرة كالفاكس واللاسلكي والأقمار الصناعيّة والانترنيت ، فإنّ هذا ممّا يحتاج إلى الأخذ بالكلّي من الأحكام والمسائل ، ومعرفة تطبيقها جزئياً على هذا الزمان .

وثمّة أمثلة عديدة في هذا الخصوص ، فإذا أخذنا مثلاً فكرة ، إلغاء الحدود الجغرافيّة بين الدول الإسلاميّة ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ فإنّ ذلك يوجب بطالة ملايين الموظّفين العاملين في هذه الوظائف ، كما أنّه يوجب إلغاء القوانين المرتبطة بمن عبر الحدود بدون تأشيرة ، وإلغاء السجون والغرامات المرتبطة بهؤلاء ، وإلغاء

موظّفي التأشيرات، وألف شيء وشيء .

إذن: فاللازم أوّلاً التفكير لهؤلاء بعملٍ، ومواردٍ ماليٍّ، وجوٍّ نفسيٍّ، ثمّ الإقدام التدريجي على التغيير .

والخلاصة أنّه ينبغي طرح البديل الإسلامي قبل كلّ شيء ، والتمسّك بالخيار الإسلامي كشرط أساسي في أيّ تغيير .

أمّا الملاحظة الأخرى التي يجب أخذها بعين الاعتبار تحديد الأولويّات والضرورات التي يجب إلغاؤها .

بمعنى هل تجنيد الطاقات لإلغاء ظاهرة الفحشاء والبغاء أهمّ ، أو إلغاء ظاهرة القمار والخمور ، وذلك فيما إذا لم يمكن الجمع بينهما فرضاً ؟

وهل توفير الحرّيات ـ مثلاً ـ مقدّم على تطبيق مبدأ الأخوة ، أو العكس ، وذلك فيما إذا حدث التزاحم بينهما ؟

وقس على ذلك غيرها من الأمثلة الكثيرة .

فإنّ من يلاحظ وضع الدول ، أو يطالع الكتب والتقارير التي صدرت عن الأمم المتّحدة ، وعن اجتماعات الجامعة العربيّة وغيرها ، يلمس بوضوح حجم المشكلة الناشئة من طريقة الجمع بين المتضاربات والمتضادات القانونيّة في علاج المشاكل وتشخيص الأهم منها، ولذلك تجد الخلافات حادّة بين الأطراف المجتمعة حول المواضيع الأهم التي يجب أن تطرح على جدول أعمال المؤتمر .

وكنموذج آخر نجد أنّ من المسائل الأخرى التي تعترض تطبيق الإسلام ، والتي يجب فهمها ودراستها قبل الإقدام عليها ، مسألة فتح الحدود بين بلدين مسلمين أحدهما فقير والآخر غني ، ممّا قد يستلزم هجرة الأمواج البشرية من البلد الفقير إلى البلد الغني .

فقبل فتح الحدود لابدّ من دراسة المشاكل التي تعترض هذه الخطوة الإيجابيّة، فهؤلاء النازحون ـ ولنفرض أنّهم مليون إنسان ـ بحاجة إلى أطبّاء ومستشفيّات

للكبار والأطفال والولادة ، وإلى محلاّت لبيع مختلف المستلزمات، وإلى مدارس للتعليم ، وإلى الشرطة والمحاكم لحفظهم وحلّ مشكلاتهم، وإلى الماء والكهرباء والغاز والهاتف والمواصلات ، والمساجد والحسينيّات ، وإلى المكتبات ، وإلى المعامل وفرص العمل ، وإلى ألف شيء آخر .

فإذا كان في البلد المنزوح إليه مليون إنسان ، لزم التخطيط لاحتواء مليوني إنسان، إذ ليس الأمر مجرّد هدم جدار يعزل بين بلدين مسلمين حتّى يتوهّم إنّه أمر يسير ، بل يحتاج إلى توفير المناخ الملائم ، وتوفير مجالات العمل ، والجمع بين الأطراف .

هذا ولا يخفى أنّه لا يكفي التخطيط إلى البلد المنزوح إليه فقط ، بل لابدّ من التخطيط للبلد المنزوح منه أيضاً ، لأنه هو الآخر الذي سيقع فيه الفراغ في جميع المرافق ، وستعم المشكلات في ذلك البلد المهجور أيضاً ، ولذلك فلو تمكن رؤساء البلدين من التفاهم والتنسيق ووضع الخطط الدقيقة وتهيئة الأجواء النفسيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة المناسبة، لكانت التجربة أقرب إلى النجاح منها إلى الفشل .

وإن لم يتمكّن رؤساء البلدين فشلت التجربة ، وتصوّر الناس البسطاء أنّ الإسلام غير قابل للتطبيق، وأنّ ما كانوا عليه سابقاً من نظام كان خيراً لهم، فيحاول الناس التخلّص من التجربة والرجوع إلى سابق عهدهم، كما جرى هذا التصوّر في بعض التجارب في هذا البلد أو ذاك .

ولذا فشلت تجربة وحدة مصر مع سوريا ، والأخيرة مع العراق ، لأنّ مشروع الوحدة لم يكن يرتكز على أساس سليم من البحث والتخطيط ، فأصبحت كلمة «الوحدة» لها مرارة في نفوس البلدين يومذاك .

نعم إنّ من السهل انتقاد الحاكم بمختلف الانتقادات ـ ولنفرض أنّ الانتقاد صحيح وبحجم الواقع ـ .

ومن السهل أيضاً التفاخر بأمجاد المسلمين الماضين ، وبالقوانين المدوّنة في بطون الكتب الإسلاميّة .

ومن السهل أيضاً الوقوف ـ عند الحرب ـ على التل ، والجلوس على مائدة معاوية والصلاة خلف علي عليه السلام ، باعتبار أنّ الوقوف على التل أسلم ، والجلوس على مائدة معاويّة أدسم ، والصلاة خلف عليّ أتمّ .

ومن السهل أيضاً الاشتغال بهوامش الحياة ، وكتابة كلمات المدح والإطراء ، والأقوال الملفّقة التي تنشر يوميّاً في الصحف والمجلاّت ، وتلقى عبر الإذاعات وشبكات التلفزة، والتي تروّج لبعض الصور والأفكار ، أو ما أشبه .

ومن السهل أيضاً الارتماء في أحضان الغرب والاستجداء منه ، لكنّه من الصعب جدّاً أن نجد طريقاً للحلّ العلمي ، ثمّ العملي للمشاكل ، يعتمد على التعقّل والدقّة ونبذ العنف ، وبعيداً عن الشعارات وتسليط الأضواء ، وبشكل يوفّر الاستقلال الحقيقي والكامل للدول الإسلاميّة .

وكنموذج آخر للتطبيق نجد أنّ الاكتفاء الذاتي والشورى والأخوّة، وغير ذلك ، كلّه بحاجة إلى دراسة وتخطيط وجدولة زمنية ، ويستدعي جمع المفكّرين والتنسيق فيما بينهم ، وعقد مؤتمرات في أجواء حرّة ، وتكوين مراكز دراسات ، وإقرار نظام التعدّدية السياسيّة «الحزبيّة» ، والتواضع المتزايد ، والنيّة الصادقة ، ورجاء ثواب الله سبحانه فقط ، غير مشوب بالطمع في الثروة والمنصب والأبهّة والذِّكر الجميل والحياة الرّغيدة .

ولذا ورد : (**وفي جميع الأحوال متواضعاً**)[٣٣٨] وقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وكذلك الإمام الصادق عليه السلام :

---

[٣٣٨] ـ مفاتيح الجنان دعاء كميل : ص٦٣ للشيخ عباس القمي . الدعاء والزيارة : ص١٢٤ للإمام المؤلّف «دام ظلّه» .

(من علامات المؤمن اللاعنف)[٣٣٩].

وفي الدعاء : (**بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدّنيّة وزخرفها وزبرجها**)[٣٤٠]و(**القابض على دينه كالقابض على الجمر**)[٣٤١]و(**إن حفظ الدين أشدّ من خرط القتاد**) وإن المنحرف عن ذلك «شهيد حمار» و«شهيد أم جميل» و«مهاجر أم قيس» و﴿**ماله في الآخرة من خلاق**﴾[٣٤٢].

وفي خطبة الزهراء «عليها السلام»: (**تشربون حسواً في ارتغاء**)[٣٤٣]، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (**أنا خير شريك**)[٣٤٤]، وفي القرآن الحكيم: ﴿**أذلّةٍ على المؤمنين ...**﴾ [٣٤٥] و﴿**كزرعٍ أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّرّاع ...**﴾[٣٤٦]، إلى عشرات الآيات ومئات الروايات ، وكثرة التطبيقات في السيرة العطرة .

ثمّ إنّ من الضروري على القائمين بالتغيير أن يتّخذوا موقف المداراة وعدم التعرّض السلبي لطائفتين من الناس ، وهم المتزمتون ، وأصحاب النفوذ والامتيازات ، الذين يفقدون مواقعهم عند التغيير ، قال تعالى :

﴿**ادفع بالّتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميم ۞ وما يلقّاها إلاّ الذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظٍ عظيم**﴾[٣٤٧].

أمّا الطائفة الأولى : فيمكن تفاديها بالصبر والتقوى والموعظة الحسنة ، قال

---

[٣٣٩]_ الكافي (أصول) : ج٢ ص٢٢٧ .

[٣٤٠]_ مفاتيح الجنان : دعاء ندبة ص٥٣ .

[٣٤١]_ مجمع البحرين .

[٣٤٢]_ سورة البقرة : الآية ٢٠٠ .

[٣٤٣]_ أنظر الاحتجاج للطبرسي وكتاب عوالم العلوم ومستدركاتها وكتاب من فقه الزهراء : ج٢ ص٣٠ الخطبة الأولى للسيدة الزهراء «سلام الله عليها» .

[٣٤٤]_ جامع السعادات : ج٢ ص٣٨٨ .

[٣٤٥]_ سورة المائدة : الآية ٥٤ .

[٣٤٦]_ سورة الفتح : الآية ٢٩ .

[٣٤٧]_ سورة فصّلت : الآيات ٣٤ . ٣٥ .

سبحانه : ﴿**ولتسمعنّ من الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأمور**﴾[٣٤٨]، و﴿**ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي احسن**﴾[٣٤٩]، فاللازم الصبر والتقوى في قبال إيذاءهم الكثير .

وأمّا الطائفة الثانية : فيمكن تفاديها بما فعله الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» من قوله: (**فاذهبوا فأنتم الطلقاء**)[٣٥٠]، وقد أمر الله النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» قبل ذلك بقوله : ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[٣٥١]، وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد خير تعليم لمقابلة أمثال هؤلاء .

ومن يتصفح كتب التاريخ يرى أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يقتل خلال تطبيقه منهاج الإسلام القويم عالماً ولا ثرياً ولا حاكماً ، كما أنّه لم يصادر أموال أحد وإن استحقّوا كلّ ذلك ، تفادياً من ردّ الفعل الذي هو قطعيّ .

ولذا نرى أنّ ممارسة العنف بعد الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بدءاً بقصّة مالك بن نويرة وغيرها ، وانتهاءً بالفتوحات الهجوميّة ـ في قبال ما فعله الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» من الفتوحات الدفاعيّة ـ قد سبّب أسوء ردّة فعل في نفوس المسلمين وغيرهم ، حيث بقيت آثارها إلى يومنا هذا .

وإنّنا نشاهد في قصص سائر المعصومين «عليهم السلام» كثيراً من نماذج السلوك الإنساني الرفيع الذي هو خير مدرسة لمن أراد التحرّك لإنقاذ المسلمين .

وقد ذكرنا في بعض كتبنا[٣٥٢]: «لزوم إلفات الغرب إلى واقع الإسلام وحركته

---

[٣٤٨]_ سورة آل عمران : الآية ١٨٦ .

[٣٤٩]_ سورة النحل : الآية ١٢٥ .

[٣٥٠]_ تهذيب الأحكام : ج٤ ص٣٦ ، المناقب : ج١ ص٢٠٩ فصل في غزوات الرسول .

[٣٥١]_ سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

[٣٥٢]_ انظر كتاب «الغرب يتغيّر» وكتاب «الوصول إلى حكومة واحدة إسلاميّة» للإمام المؤلّف «دام ظلّه» .

السلميّة ، ليتّخذ موقف الحياد تجاه هذه الحركة الإصلاحيّة ، ولا يتعرّض بكلّ قواه وإمكاناته للحيلولة دون تحقّق ذلك الهدف المنشود» .

ويتمّ ذلك عبر استخدام اسلوب السلم الذي فرضه الإسلام عليهم، وعبر تعريف عقلاء الغرب وشعوبه بالوجه الحقيقي الناصع للإسلام ، وذلك بنشر مئات الملايين من الكتب والصحف والمجلاّت ، وعبر استخدام محطاّت الراديو والتلفزة لأجل عرض الإسلام كما هو عليه وبما يحمله من مكارم الأخلاق ، ورعاية لحقوق الإنسان وحتّى الحيوان والنبات وغير ذلك ، والتفصيل ذكرناه في بعض كتبنا الأخرى[٣٥٣].

وقد قال «صلى الله عليه وآله وسلم» : (**أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**)[٣٥٤] والأمر كلّه لله سبحانه .

نسأل الله تعالى أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً ، ويهديهم سواء السبيل ليرجعوا إلى رحاب الإسلام من جديد ، وينقذوا أنفسهم من ذلك الوادي السحيق ، ويتمكّنوا بعدها من إنقاذ البشريّة المعذّبة ، كما كان ذلك دورهم في بداية ظهور الإسلام ، فإنّ في ذلك ثواب الدنيا والآخرة ، وما ذلك على الله بعزيز .

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين .

محمّد الشيرازي

١٦/ جمادى الثانية / ١٤١٤هـ

قم المقدّسة

---

[٣٥٣]_ أنظر كتاب : «الفقه : طريق النجاة» للإمام المؤلّف .

[٣٥٤]_ متشابه القرآن : ج١ ص٢٠٩ ، الكافي (الأصول) : ج٢ ص١١٧ ح٤ .

الفهرس

مقدمة الناشر..... ٢

مقدّمة المؤلّف..... ٤

النظم..... ١٢

الحرّية..... ١٥

الشورى..... ١٨

الوحدة..... ٢٣

الأخوة..... ٢٧

التفاضل والتمايز..... ٣١

السلام..... ٣٥

الإدارة..... ٣٩

الجيش..... ٤٣

الاكتفاء الذاتي..... ٤٦

البساطة..... ٤٩

الربا..... ٥٣

الثروة..... ٥٨

المجانية..... ٦١

الروح..... ٦٦

الفطرة..... ٧٠

الإنسان..... ٧٤

الأخلاق.....٧٨
الجرائم والمشكلات.....٨٢
الرقابة النفسيّة.....٨٥
النظافة.....٩١
المرأة.....٩٥
وأخيرا.....٩٩
الفهرس.....١٠٩